الدر الثمين

في ذكر

المناقب والوقائع لأمير المسلمين

محمد بن عائض

تأليف

حسن بن أحمد اليمني

تحقيق

عبدالله بن علي بن حميد




الدر الثمين

الدر الثمين

في ذكر

المناقب والوقائع لأمير المسلمين

محمد بن عائض

تأليف

حسن بن احمد اليمني

تحقيق

عبدالله بن علي بن حميد

علم

١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

المؤلف

هو الحسن بن أحمد بن عبد الله . لقبه عاكش . وينسب إلى بلده التي ولد فيها،وهي (ضمد) من قرى المخلاف السليماني . ويبدو أنه يكره لقبه (عاكش) لذا فهو يكتب اسمه حسن بن أحمد اليمني ، على أن المنطقة كلها جزء من بلاد اليمن الواسعة . وكلما كانت منطقة إلى الجنوب فهي يمن بالنسبة إلى الحجاز وما كانت إلى الشمال فهي شام

ولد المؤلف عام ١٢٢١ في ضمد في أسرة عرفت بالعلم ، ويُعدّ أحد أجداده،وهو محمد بن علي بن عمر الضمدي من علماء القرن العاشر . كما أن أباه أحمد بن عبد الله الضمدي من مشاهير علماء المخلاف .

أخذ العلم عن أبيه وعن علماء اليمن . ثم رحل إلى مكة المكرمة . وإلى صنعاء . وزبيد . وبيت الفقيه من أجل العلم فأخذه عن مشاهير علماء هذه المدن . وعني بالأدب إلى جانب الفقه . ونظم الشعر في مدح حكام بلاده . وعارض بعض الشعراء الآخرين ممن عاصروه . واشتغل بالتأليف . ومن مؤلفاته ،

١ ـ روض الأذهان شرح نظم المدخل في علمي المعاني والبيان .

٢ ـ حدائق الزهر في ذكر أشياخ الدهر .

٣ ـ عقود الدرر في تراجم أعيان القرن الثالث عشر .

٤ ـ الذهب المسبوك في سيرة سيد الملوك .

٥ ـ نزهة الأبصار ، وهو مختصر السيل الجرّار .

٦ ـ الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني .

٧ ـ الذهب المسبوك في ذكر من تولى اليمن من الأمراء والملوك (مخطوط في مكتبة الحرم بمكة المكرمة) .

٨ ـ وأخيراً هذا الكتاب الذي بين أيدينا « الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين » .

وعندما شبّ كان حكم المنطقة قد آل إلى سعيد بن مسلّط ثم إلى أخيه من أمه علي بن مجثّل ثم كان لابن عمهما عائض بن مرعي ثم ولده محمد بن عائض . وكانت المنطقة في هذه المدة قد بلغت أوج مجدها ، وأصبحت معقل الدعوة السلفية بعد سقوط الدرعية ، حيث ناصرها الأمراء وسعوا في توسيع رقعتها وعندما كان في أسمى سنوات نضجه الفكري كانت إمارة عائض بن مرعي وولده محمد لذا فقد مدحهما وخاصة محمداً الذي قدّم له أفضل شعره وأكثر قصائده ، وأحبه حباً جماً لما امتاز به من صفات ، وتوفي عام ١٢٨٦ ولم يدرك فاجعة حكم آل عائض بل مصيبة محمد بن عائض بالذات وقتله على يد الأتراك وكان ذلك بعد وفاته بقليل عام ١٢٨٩ هـ .



المحقق في سطور

ولد عبد الله بن علي بن عبد الله بن عايض بن ثُقيّل بن عبد الله بن راشد بن حميّد عام ١٣٢٦ في قرية (سَبَل) . وينتمي إلى قبيلة (بنو ضبة) التي حالفت قبيلة (بنو مالك) بن عبد الله بن نصر بن الأزد حينما نزحت من مدينة (جُرش) بعد اختفائها عن مسرح التاريخ . كما ينتمي إلى بيت عرف بالعلم والأدب .

تلقّى مبادىء علومه على يد والده الذي كان إماماً لمسجد (أبها) ومدرساً فيه أيام الأمير علي بن محمد آل عائض . كما درس في مدرسة قريته . ثم نقله والده إلى مدينة (أبها) ليواصل علومه على يد بعض مشايخها وعلمائها في الدين والأدب . ثم توجّه إلى (الرياض) بعد سقوط عسير . والإطاحة بحكومة آل عائض . وذلك بتوجيه من أمير (أبها) حينذاك (عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد الرحمن الفضلي الطائي) فاتيحت له الدراسة بتوسع في فنونٍ متعددةٍ من المعارف . وبعد تضلعه بالعلم توجّه إلى مدينة (بيشة) حيث عيّن كاتباً لإمارتها ثم وكيلاً لها . وشارك في الحملة التأديبية الأولى لتهامة عسير التي كانت بقيادة الأمير (عبد العزيز بن مساعد[١]) . ثم عمل بإمارة

(القنفذة) . ثم انتقل بعدها إلى مدينة (نجران) مسؤولاً عن أعمال المالية والجمارك فيها . وبعدها عاد إلى مدينة (أبها) كاتباً خاصاً لأميرها (تركي بن أحمد السديري) . ثم رئيساً لديوان الإمارة . واختير بعد ذلك رئيساً للبلدية . وأخيراً اعتزل العمل .

كان محباً للاطلاع مشاركاً في الكثير من فنون الأدب . وقد حظيت الصحافة السعودية بالوفير من انتاجه في البحث والتحقيق والشعر . كما كان مناضلاً بقلمه عن البلاد والذود عن حياضها . واختير ممثلاً لمنطقة عسير في مؤتمر أدباء المملكة ونال الميدالية التقديرية . كما انتخب رئيساً لنادي أبها الأدبي . ويعكف الآن لوضع تاريخ شامل عن المنطقة .

وقد اطلعت على مسودات تحقيق هذا الكتاب (الدر الثمين) فسرني ذلك العمل . فشجعته على انجازه إذ يعدّ في الحقيقة بدايةً لتوضيح ما غمض من تاريخ هذا الجزء من الوطن الغالي .

أبها ، غرة ذي الحجة ١٣٩٨ هـ

لمحة جغرافية

عسير هي المنطقة الواقعة بين الحجاز شمالاً وبلاد اليمن جنوباً . وبين البحر الأحمر غرباً ونهاية السفوح الشرقية لجبال السراة في الشرق ، وهي بهذا تشمل ثلاث مناطق :

أ ـ تهامة : وهي الأرض المنخفضة المحاذية لساحل البحر . وتتألف تربتها من الرمال قرب الساحل وتزداد خشونتها كلما اتجهنا نحو الشرق وارتقينا في منحدرات الجبل . وتقطعها الأودية الكثيرة التي تجري السيول فيها عقب الأمطار . لذا كانت بطونها تتألف من الرمل الناعم والطين . وتقوم فيها الزراعة إذا توفرت لها المياه أو الأمطار اللازمة لذلك . وهي حارة . لذا كانت الحياة فيها صعبة . ويزيد في صعوبتها كثرة الرطوبة . ولا تتلقى هذه المنطقة إلا القليل من الأمطار .

وأشهر القبائل هذه الأجزاء من تهامة . حلي . العرضية . ويبه . ويعد مرفأ القنفذة ميناء هذه القبائل . ثم بارق . وآل موسى . وآل مشول . وآل دريب . وآل الريش . والمنجحة . وتعد بلدة (محايل) مركز هذه القبائل . ثم رجال ألمع وهم عشرة بطون هي : قيس . وبنو ظالم . وبنو زيد . وبنو قطبة . وآل صلب . وبنو جونة . والعوص . والبنا . وشحب . وهناك البرك . وقنا البحر ويعد مرفأ القحمة ميناء لهم . وأشهر مدنهم (الشعبين) و (رجال) . ثم هناك بنو شعبة ومدينتهم

الدرب . وميناؤهم (الشقيق) ثم هناك مدن جيزان . وصبيا . وأبو عريش . وفي كل منها عدد من القبائل وميناؤهم جيزان .

٢ ـ السراة : وهي منطقة جبلية تصل في ارتفاعها إلى ٣٠٠٠ م ، وتتألف صخورها من الغرانيت والصخور المتحولة . وهي تنحدر بشدة نحو تهامة . ولا يمكن ارتقاؤها من الغرب إلا عن طريق عقبات أشهرها ، تنومة . وشعار . وضلع وغيرها . . بينما تميل هذه الجبال تدريجياً نحو الشرق . ولهذا الارتفاع فهي معتدلة الجو غذبة المناخ . تعد مصايف للمنطقة كلها . كما أنها تتلقى كمية من الأمطار تصل إلى ٥٠٠ مم في العام . وتكفي لقيام الزراعة إلا أن صخورها الكتيمة يجعلها لا تخزن المياه . وإنما تجري على سطحها على شكل سيول بعضها ينحدر إلى تهامة . وبعضها الآخر يجري نحو الشرق . ولما كانت أمطارها كافية نسبياً لذا فقد نمت فيها الأشجار الضخمة وكانت على شكل غابة في منطقة الأطوار . وهذه المنطقة وعرة الأمر الذي جعل الناس يطلقون عليها اسم عسير .

وأشهر القبائل التي تقيم في هذه المنطقة :

١ ـ قبائل أبها ، وأشهر بطونها بنو مغيد . وعلكم . وبنو مالك . وربيعة ورفيدة . ومركزها مدينة أبها .

٢ ـ قبائل قحطان ، وحاضرتهم ظهران الجنوب وأشهر بطونهم : شريف . وسنحان . وعبيدة . ورفيدة . وقبائل همدان ومنها : البقوم . التي تعود في أصولها إلى الأزد . وسبيع (سبيع العزة) وتسكن

« الخُرمة » و « رنية » و « تُرَبة » و « الغفر » و « حضن » التي فيها القلعة المشهورة التي بدأ ببنائها الأمير « علي بن مجثّل » وأتمّ بناءها الأمير « عائض بن مرعي » وكانت رباطاً للبقوم . ووادعة . والحباب . وهاجر . وبني جحدر (الجحادر) .

٣ ـ شهران وناهس . ومركزها خميس مشيط .

٤ ـ يام وبنو مرة ومركزهم نجران .

٥ ـ صعدة ومن قبائلها همدان الجنوبية .

٦ ـ رجال الحجر . وهم عدة قبائل منها بنو شهر ومركزهم النماص . وتنومة . ثم بالأحمر وبالأسمر . وبنو عمرو .

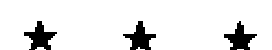
٧ ـ غامد وزهران وبالقرن وشمران وبجيلة ومنها بنو مالك وخثعم السراة . وعاصمة الإمارة الآن الباحة . ومن مدنهم الظفير . ورغدان .

٨ ـ منطقة بيشة وفيها عدة قبائل . ومنها : خثعم وبنو ضبة . وبنو الحارث . وبعض من بطون الدواسر وبنو أكلب . وبنو سلول . وبنو عامر . وبنو معاوية وبنو واهب وغيرهم .

٢ ـ الهضبة : وتقع في سفوح جبال السراة الشرقية ومن مدنها طريب وعرين وتثليث والصبيخة وخيبر والعين والخبراء ويعرى وطلحة وبعيجاء والمضة . وتمتد مع امتداد إمارة عسير السياسية . أو مع

امتداد نفوذ قبائل عسير وتنقلهم إلى الشرق . وقد وصلت أيام آل عايض حتى صبحاء إلى الغرب من القويعية وشملت « العبر » و « زمخ » و « السويلة » و « منوّخ » وحتى « الشقايق » شرق « رملة بني مرة » . وهي منطقة قليلة الأمطار لذا تقوم الحياة فيها على الرعي .

ومركز المنطقة كاملة إنما هي مدينة أبها .



لمحة تاريخية

أقام الأزد في المرتفعات . وقد انتقلوا إليها بعد خراب سدّ مأرب . وكانت من قبل مركزاً من مراكز العمران المعروفة . وعرفوا باسم (أزد شنوءة)[1] . ولما كانت المنطقة وعرةً لذا فقد قامت فيها إمارات متعددة . ومن أشهرها ، (جُرَش) التي بقيت حتى جاء الاسلام . ودان سكان المنطقة به . وظهر منهم قادة وعظماء .

---

(١) شنوءة ، وأهل البلاد يخففونها . فيقولون ، « شنوه » ، وهو لقب (عبد الله بن نصر بن الأزد) الذي حلّ والقبائل التي كانت معه جبل الطود الذي وقع اختيار روّادهم عليه . وكان أول نزولهم في الموقع المعروف باسم « غسان » . وهو المكان الذي يقع في سفوح جبل « تهلل » الشرقية . لذا فقد عرف بـ (الشرقي) . وفي ذلك المكان تفرعت القبائل وتكاثرت وأصبح هذا الاسم يطلق على مجموعة من الجبال تقع شمال (أبها) . والتي كانت تعرف آنذاك باسم (يفا) . وكان سوق تلك القبائل في الجبال المحاذية للشرقي من جهة (الخديلة) وهي ، (ضموو) و (الشق) . ويعرف بـ (حصن أسلم) . و (أسلم) هو (أسلم بن عمرو بن ثمالة بن الأزد) . أما بقية قبائل الأزد التي خرجت من مقرها الأول في (مأرب) بعد خراب سدّها . وانتقال أهلها فقد اتجهت نحو (عُمان) . وتفرقت عن (شنوءة) وهي ، (بنو الهنو) ومن انضم معه من إخوانه حيث أقاموا هناك . وتفرّعوا وعرفوا باسم « أزد عُمان » أما أزد (شنوءة) فقد انتقل قسم منهم إلى بلاد الشام . وعرفوا هناك باسم (الغساسنة) نسبة إلى المكان الذي خرجوا منه في بلاد عسير .

أما القسم الذي بقي في عسير منهم ، (ألمع) و (الصق) و (ربيعة) و (أسلم) الذي يؤلفون أصول (بنو مغيد) و (علكم) و (بنو مالك) ثم (سنحان) و (غامد) و (زهران) و (رجال الحجر) و (خثعم) و (مذحج) وبنو (الحارث بن كعب) وقد غلب على هذه القبائل الأزدية اسم (عسير) .

لجأ إلى هذه المنطقة بعض أفراد الأسرة الأموية التي دالت دولتها في الشام ، ومنهم من ينتمي إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، لذا فقد عرفوا فيما بعد باسم (آل يزيد) ، وقد استطاع أحدهم وهو (علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد) أن يتسلّم زعامة المنطقة ، وأن يؤسس أسرة بقيت تسيّر شؤون عسير حتى بداية القرن الثالث عشر الهجري ، وهو الذي جاء من الشام [1] .

= هذا ما يقوله الحفظي ، أما غيره فيقول ، إن الأزد بعد خراب سد مأرب قد نزلت على ماء يعرف بـ (غسّان) في وادي (رمع) في منطقة (زبيد) في اليمن ، والذي يجري على السفوح الغربية من السراة ، ويرفد وادي (زبيد) الذي يفضي إلى البحر الأحمر . . . ويرد الحفظي على هذا فيقول ، إن الأزد قد اتجهوا من الجنوب إلى الشمال وليس من الشرق إلى الغرب ، ووادي (رمع) يقع إلى الغرب من (مأرب) ، وهم لم يتجهوا إلى الغرب أبداً .

ويقول بعضهم ، إن الغساسنة قد عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى الماء الذي نزلوا به في حوران من بلاد الشام ، ويعرف باسم « غسان » أيضاً .

(۱) ومن أولاده الذين برزوا في المنطقة ، وكان لهم مع من جاورهم الكثير من الجولات (خالد بن عبد الله بن علي بن محمد) الذي وقف بقواته من قبائل الأزد (عسير) ، ومن التف معهم من قبائل (الحارث بن كعب) و (بني هلال) و (بني مذحج) (عبيدة) و (يام) و (عسير) و (شهران) و (ناهس) و (منبه) بقيادة أميره على (جُرَش) (عبد الله بن الأحمر الجرشي) لقد وقفوا بجانب (الهيضم بن عبد الرحمن الهمداني) الذي انضمت معه معظم قبائل اليمن ، وثار على الخليفة العباسي هارون الرشيد عام ۱۸۹ هـ ، وانتصر وحليفه الأمير خالد على القوات العباسية في (بيشة) فجاءت لها قوة كبيرة تدعمها بإمرة (حماد البربري) حيث انتصر على قوات (الهيضم) و (خالد) ولاحقهم فتحصّن (الهيضم) في (جُرَش) فألقي القبض عليه ، وأرسل إلى بغداد ، فقتل هناك ومن معه ، وتحصّن (خالد) في (الزهوة) بـ (المسقي) حيث قتل بعد مدة ، وخرّبت (الزهوة) ، ونقل (عبد الله بن الأحمر الجرشي) أميراً على بلاد (غامد) و (زهران) ، وكان من نسله عشيرة (الحمران) بـ (غامد) ، وبه عرفت منطقة (بلجرشي) وتعني (ابن الجرشي) .

كما اشتهر من أحفاد (علي بن محمد) الأمير (علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن =

كما انتقل إلى المنطقة بعض الأشراف في مكة واستقروا في تهامة .

ـــ خالد) الذي تمكّن من دحر قوات (يحيى بن حسين القاسمي) الملقب بالهادي . والذي كان مقره (صعده) . والذي مد نفوذه إلى (نجران) و (تثليث) و (سنحان) و (بيشه) وضمها إليه . إلا أنه هزم أمام قوات (علي بن محمد) في المعارك الطاحنة التي دارت بين الفريقين في بلدة (الحضن) وبلدة (الأبرق) في أسفل وادي (نجران) . ودمرت هاتان البلدتان عام ٢٩٨ هـ من قبل قوات (علي بن محمد) .

ومن أحفاد (علي بن محمد) الأمير (سعيد بن هشام بن علي بن محمد) الذي دحر (القاسم بن علي بن عبد الله القاسمي) عام ٣٨٩ هـ بعد أن وصل إلى (بيشه) . وأحرق نخلها . واتخذ من (تبالة) مقراً للدعوة (الزيدية) فتمكّن (سعيد بن هشام) من طرد القوات الزيدية من (تبالة) و (بيشه) و (رنيه) . وأثناء تقهقر الزيديين قطعت الطريق عليهم قبائل (يام) و (الحارث بن كعب) الأمر الذي جعلهم يلجؤون إلى بلاد (بنو سفيان) من (حاشد) حيث استقروا فيها . ونشروا دعوتهم .

ومن أحفاد (علي بن محمد) الأمير (محمد بن علي بن سعيد بن هشام) الذي وقف بقواته في وجه القرامطة حينما حاولوا دخول عسير بعد أن تمكنوا من احتلال (بيشه) و (تثليث) ووادي (الدواسر) و (نجران) و (سنحان) و (صعدة) فتقدمت إليها قوات الأمير (محمد بن علي) . وتمكّنت من إجلائها عن هذه المناطق بعد أن ألحقت بها الهزيمة في (بيشه) . ففرّ القرامطة إلى اليمن حيث لجأ معظم جيشهم إلى (صعده) . ومنها دخلوا اليمن عام ٤٥٢ هـ .

ومن أحفاد (علي بن محمد) الأمير (سليمان بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن هشام) الذي وقف في وجه قبائل (الغز) عام ٥٥٦ هـ عندما حاولت احتلال عسير بعد أن جاءت من (مكة المكرمة) و (جده) ووصلت إلى بلاد (غامد) و (بنو شهر) وتوغلوا في بلاد عسير . فأوقفتهم قوات الأمير (سليمان) . واستطاعت أسر أكثرهم . ولجأت بقيتهم إلى اليمن .

وقد دوّن هذه الأحداث مؤرخ المنطقة العلاّمة (عبد الله بن سليمان بن عباس القاسمي) الذي ينتمي إلى (آل قاسم - علكم) . والعلاّمة (موسى بن جعفر الحفظي) . وآل الحفظي أسرة عريقة في العلم والأدب . جاء جدهم الأعلى (موسى بن جشم العجيلي) من (بيت الفقيه) قرب (زبيد) وانتقل مع أسرته إلى عسير بعد سقوط الدولة الطاهرية ودخول المماليك اليمن وانتشار الفوضى وعدم الاستقرار في تلك الجهات . ونزلوا على أمير (حلي) من آل عطية النوّبيين . وبقوا هناك حتى احتل الأمير (سالم بن عبد الله بن ابراهيم) الجد الأعلى للأمير (عائض بن مرعي) (حلي) في أواخر القرن العاشر الهجري . وضمها إلى عسير فانتقل (موسى بن جشم) وولداه ـــ

وتركزوا حول (أبي عريش) وفي المخلاف السليماني كله . وبرزوا بين مشايخ القبائل لمقاومة العثمانيين في مطلع القرن الحادي عشر الهجري . واتخذ هؤلاء الأشراف في (أبي عريش) مدينتهم قاعدة لحكمهم . وجرت حروب بينهم وبين جيرانهم من الأمراء .

ولما كانت المنطقة وعرة . والمواصلات فيها صعبة لذا فقد انعزلت عن إمارات الحجاز واليمن . وبقيت إمارة محلية هي إمارة (آل يزيد) . ويتبعها عدد من مشايخ القبائل . حتى ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فتوجّه عدد من رجالات المنطقة إلى (الدرعية) ينهلون من العلم . ومنهم . محمد بن عامر المتحمي الرفيدي . وأخوه عبد الوهاب . وشار بن عرار . ومشيط بن سالم . ومحمد بن سليم

= (أحمد) و (محمد) إلى (السقا) ليكونوا بجانب الأمير (سالم) وبعد مدة انتقل (محمد بن موسى بن جشم) إلى (رَجال) في موقع يسمى (حفظ) فثبت أسرته إليه . وهذا ما وضحه المؤرخ (موسى بن جعفر الحفظي) » . وخرج من هذه الأسرة عدد من العلماء والأدباء والشعراء . وكانت لهم مكانة علمية أفادت المنطقة .

وحصل الأمير (تركي السديري) والأمير (تركي بن ماضي) على نسخ من هذين المخطوطين . ولا تزال لديهما . وسلّم الأصل من مخطوط القاسمي إلى الشيخ (عبد الله بن يوسف الوابل) . وكتب الأمير (تركي بن ماضي) موجزاً عن تاريخ هذه المنطقة . وهيىء للطباعة . ولكن وفاته ـ رحمه الله ـ حالت دون ذلك .

وقد تعرضت المنطقة عام ٩١٩ لغزو المماليك الذين يسميهم أهل البلاد (الغز) . وقد خرّبوا في هذه الغزوات بلدة (الجبهوة) التي اعتصم فيها الأمير (علي بن وعلي بن حرب) الجد الأعلى للأمير (عايض بن مرعي) . كما هدمت معظم قرى عسير . وقلعة (خزلم) قاعدة عمال الأمير (صقر بن حسان) الواقعة بأعلى (دلقان) بـ (السربة) والتي اتخذها مركزاً له بعد تخريب (تَجرْش) واقطاعها لـ (رفيدة) وانتصر المماليك بالمدافع التي يملكونها على حين لم يعرفها أهل عسير بعد . وقد قاوموهم بأسلحتهم العادية . وانتصروا عليهم في النهاية . وأجلوهم عن السراة عن طريق عقبة (ضلع) و (ساقين) .

وغيرهم . وبرز منهم محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب (أبو نقطة) . وأوكلت الدعوة في نجد إليهما إمارة منطقة عسير . واستطاعت جموعهم مع من انضم إليهم من نجد بقيادة (ابن الربيّع) الدوسري . و (سالم بن شكبان) قتل الأمير اليزيدي محمد بن أحمد وتسلّم المنطقة عنوةً .

لم تطل إمارة آل المتحمي على عسير أكثر من ثماني عشرة سنة (١٢١٥ ـ ١٢٣٣) في ظل الحكم السعودي حيث برز بعض أبناء (آل يزيد) في الدعوة السلفية . واستطاعوا قيادتها . ومقاومة جيوش والي مصر (محمد علي باشا) والأتراك من خلفه . الأمر الذي جعل الإمارة تعود إليهم . فحكم سعيد بن مسلط (١٢٣٣ ـ ١٢٤٢) . وخلفه أخوه لأمه علي بن مجثّل . واستمر سبع سنوات (١٢٤٢ ـ ١٢٤٩) استطاع خلالها طرد الأتراك من المنطقة كلها . ووصلت إمارته إلى أقصى اتساع لها إذ وصلت إلى أطراف الطائف في الشمال . وجهات عدن في الجنوب . كما ضمت أجزاءً واسعة من تهامة في الغرب . والهضبة في الشرق . وعندما حانت وفاته أوصى لعائض بن مرعي بالإمارة والإمامة لما اتصف به من تقوى وخلق وشجاعة وحزم . فحافظ على الإمارة بل ضم إليها أجزاءً في جهات الشرق حتى وصلت إلى صبحاه في غرب القويعية . ولما مات اختار عدداً من أهل العلم والتقوى ليكونوا كمجلس شورى لتعيين الأمير على المنطقة . ولم يقبل أن يعهد لأحد من أبنائه [١]. فعين مجلس الشورى علي بن عائض إماماً وأميراً . ولكنه تنازل لأخيه محمد فوافق

---

(١) أنجب الأمير عائض بن مرعي تسعة أولاد وهم : علي . ومحمد . وناصر . وسعيد . وعبد الرحمن . وسعد . وعبد الله . ويحيى . وأحمد .

=

مجلس الشورى على ذلك . فقاد محمد الإمارة بحزم وشجاعة جعل الامراء من جيرانه والولاة من قبل العثمانيين ، والأشراف يها بونه . . . حتى اجتمعت كلمتهم عليه وكانت نهايته عام ١٢٨٩ هـ .

وفي عهد إمارة عائض بن مرعي وابنه محمد عاش المؤلف . وقد وضع الكتب والمؤلفات في إمارتيهما كما نظم القصائد في مدحهما . وهذا الكتاب أحد المؤلفات له وهو خاص بالأمير محمد بن عائض .

وقد شجعني على هذا البحث علامتا الجزيرة ، الشيخ حمد الجاسر - خرّيت المنطقة - الذي قدّم للأجيال خدمات في المعرفة الجغرافية والتاريخية . وأديب نجد وابن بجدتها عبد الله بن محمد بن خميس الذي بذل جهداً خيّراً لتوضيح الطريق أمام السالكين . فكانا لي قدوة في العمل . وكان لا بدّ لي من أن ألبي نداءهما في بذل ما أستطيع بذله لإجلاء ما خفي من تاريخ منطقتي ومعالمها .

وقد بدأت بهذا الموضوع راجياً من الله التوفيق وسداد الخطأ .

عبد الله بن علي بن حميّد

= كما أنجب ثلاث بنات هن ، حليمة ، وعائشة ، وصالحة .

ولم يعقب من أولاده سوى محمد وعبد الرحمن .

أما محمد فقد حصر نسله في ولده عبد الله الذي أنجب سعيدا ، وعائضا ، وحسناً والنسل فيهم .

وأما عبد الرحمن فقد حصر نسله في أولاده ، محمد ، وعائض ، وعبد الله . فقد أنجب محمد حسنا ، وأنجب الحسن يحيى والنسل منه الان . وأنجب عائض محمدا ، وعبد العزيز والنسل منهما الآن . وأنجب عبد الله عبد الرحمن والنسل منه الآن .

الدر الثمين

في ذكر

المناقب والوقائع لأمير المسلمين

محمد بن عائض

تأليف

الفقير إلى الله تعالى

حسن بن أحمد اليمني (العاكش)

المتوفى عام ١٢٨٦هـ

مقدمة المؤلف

الحمد لله ذي الملك والملكوت والعزّ والجبروت . يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء . ويعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء بيده الخير . وهو على كل شيء قدير . وصلى الله وسلم على من اصطفاه من أشرف العالم . وفضّله على ولد آدم . وأنزل عليه في كتابه المبين « نحن نقصّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين »[1] . صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأنصار والمهاجرين . صلاة أبلغ بها الغايات من رضوانه والمزيد من إحسانه . وبعد ، فإن علم التاريخ فضله جمّ . يشترك في الإقرار بفضله وحسن وضعه من خصّ وعمّ ولله درّ الشاعر حيث قال :

ليس بإنسان ولا عالم   من لم يع الأخبار في صدره
ومن درى أخبار من قبله   أضاف أعماراً إلى عمره

هذا مع أن كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مشحون بأخبار الأمم السالفة الماضية والقرون الذاهبة الخالية . وقد قيل في تفسير قوله تعالى : « أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم »[2] إن المراد بالسير في الأرض هو العلم بالتاريخ . وقال عزّ من قائل : « إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا

---

(١) الآية ٣ من سورة يوسف

(٢) سورة الروم الآية ٩

وآثارهم . وكل شيء أحصيناه في إمام مبين »[١] . وقال تعالى : « كذلك نقصّ عليك من أنباء ما قد سلف[٢] وقد آتيناك من لدنا ذكراً »[٣] . ثم إن أولى ما يعتمده أولو الأمر وأصحاب الزمان ومن بأيديهم مقاليد الملك والسلطان . وأوجب ما يتشاغل به من إليهم أزمّة الأمور وعليهم سياسة الجمهور إدمان النظر في كتب السير والتتبع للأخبار والآثار . والتفكير في أحوال من مضى من الأخيار والأشرار ليعلم ما أبقاه المحسن من الصيت الحميد الذي صار له حياة خالدة بالأجر الذي اكتسبه وللمسيء من الذكر القبيح الذي جعل صحيفته مسودّة بالوزر الذي احتقبه[٤] وتصفحوا حال الحازم في حزمه وعقله والمضيّع في تفريطه وجهله فيسلكوا من الطريق أوضحها وأمثلها ويتبعوا من الخلائق أشرفها وأفضلها ويردوا من المشارب أصفاها وأعذبها ويرتعوا من المراعي أطيبها ويأخذوا من الأمور بأحزمها ومن التجارب بأحكمها : فمهما[٥] يكن من حسنة اقتبسوا منها . ومهما[٦] يكن من سيئة ارتدعوا عنها . فالسعيد من انتفع بالأدب فيما دأب فيه غيره من التجارب والرابح من حظي بالراحة فيما تعب فيه سواه من المطالب لأن العقل غريزة الإنسان . والتجارب مكتسبة في الزمان . والرأي لقاح العقل والتجربة نتاجه . والخير مقصد الحجا والاجتهاد منهاجه . فإذا تأمل المرء سير الماضين من الأقوام حتى

---

(١) سورة يس الآية ١٢ .

(٢) الصحيح (ما قد سبق) .

(٣) سورة طه الآية ٩٩ .

(٤) احتقبه : لحق به . وقد حرص الكاتب على السجع لذا استعمل هذا اللفظ .

(٥) فمهما : فما .

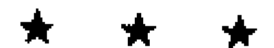
(٦) ومهما : وما .

مع تقارب الشهور والأيام . جنى ثمرة ما غرسوه على تطاول الدهور والأعوام . وعرف علل الأحوال وفوائدها . وحيل الرجال ومكائدها . وتسلّى بمن تدرع الجلد عند حلول النوائب . وتأسّى بمن توقع الفرج حين ظهور العجائب . وأحب[1] المذاكرة وأنس المحادثة والمسامرة . حتى قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ، من علم التاريخ زاد عقله . وقد سبق إلى الاعتناء بعلم التاريخ أكابر الأئمة وأفاضل علماء الأمة . وأثنوا على من سلك ذلك المنهج بما لا مزيد عليه . وصرّحوا بأنه من المهمات النافعة في الدين والدنيا . وعوّلوا على من حرص على الغوص في بحار تدقيقه . وأشاروا بالبنان إليه إذ به يعرف الحديث من القديم . ويتميز الصحيح من الأخبار عن السقيم . فكم من قضية أشكلت على كبراء العلماء المحققين وسجى ظلامها . فلم يكشفه إلا أنوار حقائق الأخبار من المدققين . كما يعرف ذلك من مارس الأخبار من الأسفار واطلع من كتب التاريخ على خبايا الأسرار . وكفى بقضية يهود خيبر ودعواهم أن النبي ﷺ أسقط عنهم الجزية . وإبرازهم منشوراً بذلك فيه شهادة جماعة من أجلاء الصحابة حتى كاد الخليفة في ذلك العصر أن يميل إلى تصديقهم ركوناً إلى ذلك السجل حتى بيّن فضيحتهم العلامة الحافظ أبو بكر المعروف بالخطيب مما اقتبسه من نور التاريخ الجليل . والقضية مشهورة . وفي دفاتر التاريخ مأثورة . وقد دفعني ذلك إلى اقتفاء آثار أولئك الأعلام برقم ما استطعت رقمه من حوادث هذا الزمن ووقائعه العظام قصداً لتنبيه الغافل على الاعتبار وإرادة لإفادة من يريد الاطلاع

(١) أحب ، سقطت في النص ويبدو أن ذلك أثناء الكتابة .

على ما جرت به أيدي الأقضية والأقدار بهذه الدار . هذا وقد جعلت ما جمعته مختصاً بالمتفقات في أيام الإمام العادل حامي حمى الإسلام . والعزة الباذخة في جبين الأيام عز الإسلام (محمد بن عائض) عافاه الله تعالى . ورقمت طرفاً يسيراً مما سلف في أيام والده الأمير عائض بن مرعي رحمه الله تعالى آمين .

وقد قيّدت ما اطلعت عليه بحسب الطاقة والإمكان . فالمطلوب ممن اطلع على ما رقمته من الإخوان ستر الخلل . وإصلاح الزلل . على أنه لا يسلم منهما إلا كلام من عزّ وجلّ . وإلا فغيره على وجل . وأنا أسأل الله تعالى الذي بيده مقاليد الأمور أن يتجاوز عني كل خطأٍ مستور وعلى صفحات هذه الأوراق مسطور . وأن يكفّ عني أكفّ الحاسدين وشرّ المعاندين إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير . وهو نعم المولى ونعم النصير . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .



الأمير محمد بن عائض

هو الإمام الماجد . ممتطي صهوات المخاطر والشدائد . حاوي المفاخر والمحامد . محمد بن عائض بن مرعي حفظه الله . أسامي[1] لم تزده معرفة . وإنما لذة ذكرناها . هو ماجد أعز الله سبحانه وتعالى بقيامه المسلمين . وظهر في أيامه شعار الدين . همام ناطح بهمته الثريا . وبلغ بها أعلا[2] المفاخر التي لسواه لا تتهيأ . شجاع تتقي الأسود الضواري بطشاته . ويتجنب الشجعان في يوم النزال ملاقاته . بطل كم جندل في يوم الوغى من أبطال . وكم غذّى بدم الأعادي المشرفية والرماح السمهرية الطوال . تراه لشدة بأسه عند اصطدام الحوادث . واظلال سوادها الكارث[3] . ووجهه وضّاح . وثغره باسم غير متهيّب لذاك الفادح لأحد من العوالم . مقدام قدّمته على أعيان الزمن أفعاله تقديم بسم الله في المصاحف . شهم كم هزم[4] إلى المعاندين له من جيش حامل للمنية زاحف . كريم يقصرُ عن كرمه متراكم الغمام إذ ينهمر . سميدع يهب الآلاف مبتدئاً . فيستقل عطاياه ويعتذر . قد استولى على الفضل استيلاء الأهلة على المنازل . وحاز الفخار ففاق بذلك الأواخر وبرز على الأوائل . سليم دواعي الصدر . طاهر السريرة إلى

---

(١) أسامي ، الأسماء والألقاب .

(٢) أعلا ، أعلى .

(٣) الكارث ، المسيء ، والمشتد على .

(٤) هزم ، ناقصة من المخطوط .

لطف أخلاق تعلّم من رقتها النسيم . ولطافة طبع إذا تكلم في الأدب حيّر النديم . خبير بالمحاضرة في المحافل والمجالس . لا يملّ حديثه إذا ذاكر فهو دائم الا بتسام غير عابس . وأما حلمه فما لقيس[1] من استطالة فضله عليه عاصم . وما أحسب المذنب إلا يتقرب إليه بالذنب القاصم . وأما آراؤه فقد احتوت على زهرات النجح وثمراته . ورشت على الصلاح ماء الخطب حتى أطفأت من جمراته . وأما ما يتبع ذلك من سداد سياساته الملكية ونفاذ قضيته اللوذعية[2] فما أظن العصا قرعت لذي الحلم إلا تهديداً بوجوده . وما أظن الزمان كفّ عن معاداة أهل الكمال في زمانه إلا خوفاً من إقامة حدوده .

بحر تجاوز حد المدح من شرف	كالصبح لا غرة تحكي ولا رتم[3]
مجرد العزم للعليـــا إذا عجــزت	عنــه الســراة وقالوا إنها غرم
يمضي الزمان ولا فاقت يديه يد	سعيا إلى المجد لا زلّت به القدم
رمى الأقاصي حتى حازهـا ومضى	تبارك الله مـــاذا تبلـــغ الهمم
لا يطــرب المحل إلا صوب نائلــه	ولا تحول على أفكاره الديـــم[4]
في كل يــوم يُنادي مـــن مكارمه	هذا إمام الندى لا ما ادعى هـــرم[*]
يحم حمـــاه ودافع كل معضلــة	بهيئة الحزم تعلــم أنها حــــرم
حاطت عزائمــه الإســلام جاهدة	حتى تغاير فيها العِلْمُ والعَلــم

(١) قيس ، يقصد به الاحنف بن قيس سيد بني تميم المشهور بالحلم .

(٢) اللوذعية ، الفطنة . والأصل ، اللوذعي اللسان الفصيح .

(٣) رتم ، خاص بكسر الأنف .

(٤) الديم ، الاستمرار .

(*) هرم ، هو هرم بن سنان الذي يمدحه زهير بن أبي سلمى بالكرم . وقد خصه بذلك

لو أن للدهر جزأ[1] من محاسنه — لم يبق في الدهر لا ظلم ولا ظُلَم

قالت أياديه للحسّاد عن كثبٍ — ما أقرب العزّ إلا أنه همم

فما أناف[2] به للمجد أن له — عزماً يرى فرص الأيام تغتنم

ميلاده ـ أطال الله تعالى بقاه وكبت أعداءه وحسّاده ـ ، شهر جمادى الأولى ١٢٥١ . نشأ على الطهارة والعفاف . وتربى في حجر والده الأمير الشهير ذي القدر الخطير . عائض بن مرعي رحمه الله تعالى . ولازمه في سن الحداثة حضراً وسفراً . واكتسب من أخلاقه ومكارمه ما فاق به الأماثل والنظرأ[3] . ولما بلغ درجة الكمال فما ترك ذروة من المجد إلا صعدها . ولا صهوةً للفخر إلا اقتعدها . ولا آبدةً من المعاني إلا تصدّى لها وتصيّدها . ولا ساميةً من المكارم إلا علاها . ولا سائبة من المحامد إلا وصلها وحماها . فالله يمنع الإسلام بوجوده . ويتابع عليه النصر والظفر ويقمع كل أضداده وحسوده .

آمين آمين لا أرضى بواحدةٍ — حتى أضيف إليها ألف آميناً

لمحة من حياة والده : ومن قيام والده بالإمارة في عام ١٢٤٩ بعد وفاة الأمير علي بن مجثّل[4] وكان هذا الأمير فيه شجاعة وإقدام .

(١) جزأ . هكذا جاءت والصحيح جزءاً .

(٢) أناف . زاد عليه .

(٣) النظرأ . الصحيح النظراء .

(٤) علي بن مجثل بن مسفر بن محي بن عواض . تزوج جدّ أبيه محي بن عواض بترابة بنت عبد الرحمن الجد الخامس للأمير عائض بن مرعي . فجاءه منها مسفر الذي نسب إلى جده لأمه . وخلف مسفر ولدين هما . مسلّط ومجثل . وتزوج مسلط بعمة الأمير عائض بن مرعي وهي عائشة بنت محمد فأنجبت منه سعيداً . وتوفي مسلط عنها . فخلفه عليها مجثل فأنجبت له علياً الأمير المذكور . وعرفت أسرته بعد ذلك بـ (آل ترابة) .

ولاحظته السعادة في النقض والإبرام . وما توجّه إلى بلد إلا وحصلت له الفتوح . واستطالت يده إلى تخوم الطائف[1] . وافتتح اليمن بمن معه . واستولى على المخا[2] وتلك الجهات . وجرت بينه وبين الأشراف وغيرهم من الأتراك حروب كانت العاقبة له . وكانت مدة مملكته تسع سنين . فسبحان من لا يزول ملكه . وكان فيما أوصى به فيما بلغني بالإمارة للأمير عائض بن مرعي[3] لما يعلم فيه من الحزم والبسالة وحسن السياسة والنبالة . فالتفت إلى ضبط المملكة بجأش ثابت . وقدم أرسخ من الجبال الثوابت . يخضع لسطوته كل معاند . وتزهو باسمه الصكوك في جميع المقاصد . وهذا كله بعدما وقع بينه وبين الأتراك من الملاحم الكبار . التي تسك المسامع وتعمي الأبصار . فحمى حمى بلاده . وأعانه الله تعالى على القيام بمراده . وأذاق أولئك في حروبهم معه السم الزعاف . ورقم السيف على صفحات المملكة بالدم المهراق .

وما تقرّ سيوف في ممالكها   حتى تقلقل دهراً منه في القلل

---

(١) الطائف ، مدينة هي مصيف أهل مكة بينهما ٨٠ كيلاً إلى الجنوب الشرقي منها .

(٢) المخا ، مرفأ يماني على ساحل البحر الأحمر قريب من مضيق باب المندب بينهما ٩٠ كيلاً .

(٣) الأمير عائض بن مرعي ، تولى الأمارة ولم يتجاوز من العمر ٣٦ عاماً . ولد يتيماً إذ كان أبوه قد قتل عام ١٢١٣ في بيشة في محاولة رد القوات السعودية عن عسير . وعاش في رعاية ابن عمه أمير عسير آنذاك وهو محمد بن أحمد بن محمد . وكان مع إخوته يحيى وخالد . فلما قتل ابن عمهم عام ١٢١٥ على يد القوات السعودية نفسها انتقلوا إلى كفالة سعيد بن مسلط أمير عسير من عام ١٢٣٣ ـ ١٢٤٢ هـ . وتسلم الأمارة بعده علي بن مجثل .

وجرت بينه وبين الشريف علي بن حيدر[1] وقائع . وبعد ذلك وضعت الحرب أوزارها وكمنت مدة من السنين نارها . ولما استقر الشريف الحسين بن علي بن حيدر في الإمارة بعد وفاة والده . وكانت وفاته سنة ١٢٥٤ . وكان إذ ذاك متولي اليمن من طريق صاحب مصر إبراهيم باشا[2] . وكان استمداد ولاية الشريف الحسين من طريقه وبعد ذلك ظهر له من الباشا المباينة . وكان يترقب لإنزال الضرر بالشريف المذكور الدوائر[3] . ويود أن يلحقه بالأمس الدابر.فرأى أن لا طريق له غير مصاحبة الأمير عائض واتصال حبله بحبله . إذ هو في بحر من رجال الإسلام . وممن يركن بهم عند حوادث الأيام.فأرسل إلى حضرة الأمير بعض أعيان السادة ليصلح بينه وبين الشريف الحسين الشأن . ويطلب منه الإعانة على إخراج الترك من اليمن . ويحثه على اجتماع كلمة العرب لدفع تلك المحن . فتمّ بينهم الكلام على أن الأمير يرسل طائفة من المسلمين لإعانته والقيام بنصرته . وما وصلوا إلى أبي عريش إلا وقد وصل من والي مصر الارتفاع[4] لإبراهيم باشا من اليمن . ولكنه اصطحبهم معه[5] . وكانوا له من الأعوان وليس معه من الأجناد غيرهم .

---

(١) الشريف علي بن حيدر ، كان أمير أبي عريش . وأسرته قد حكمت هذه المنطقة مدة من الزمن . وأبو عريش مدينة قرب جيزان تبعد عنها ٣٥ كيلاً إلى الداخل .

(٢) كان صاحب مصر محمد علي باشا وليس إبراهيم باشا وإنما كان إبراهيم بن محمد علي وهو قائد الجيوش والمعارك وقد توفي قبل والده بعام ١٢٦٣ هـ .

(٣) الدوائر ، كلمة زائدة . وضعت للسجع تأكيداً للضرر .

(٤) الارتفاع ، الأوامر بالانسحاب .

(٥) اصطحبهم معه ، أي اصطحب الشريف الحسين معه الجند الذين أرسلهم الأمير عائض إليه . ولم يكن معه سواهم .

وافتتح اليمن . واستقر بالمخامدة . وبعد رجوعه إلى أبي عريش وقعت المفاوضة بينه وبين الأمير عائض بألسنة الأقلام في مكانٍ يكون به الاجتماع لتأكيد ما سلف من الصلح في تلك الأيام . فتمّ الكلام على أن يكون اللقاء في وادي (بيض)[1] فنهض الشريف الحسين من أبي عريش ثامن شهر شوال ١٢٥٧ . وانفصل الأمير من بلاده هو ومن معه من أجناده . ودار بينهما حديث الوفاق وهيأ الله من أسباب الصلاح . ونادى منادي الظفر بينهما بحي على الفلاح . وضربوا بينهم في ذلك الاجتماع القواعد الأكيدة . وأيدوها بالمواثيق والعهود الشديدة . وذلك على تسليم دراهم للأمير معلومة في كل عام . وتراسلوا بهدايا فيها كل شيء نفيس في ذلك المقام . وبعد ذلك توجّه كل منهم إلى جهته وقد أمن جميع من في تهامة . وخلعوا عنهم ثياب الخوف . ولبسوا أثواب السلامة . وصفيت البلاد من الأنكاد . وسلك الناس من الأمن في كل واد . واستمر ذلك الأمر على تسليم ما وقع عليه الصلح من الدراهم حتى دخلت سنة ١٢٦٣ . وانقطع تسليم المعلوم من الشريف . ولم يزل الأمير يلاحق في ذلك . ويعتذر منه الشريف بعدم محصول البلاد . وعدم قيامها مع ما وقع فيها بشيء من الامداد . فيقبل الأمير في الظاهر العذر عملاً بقول القائل :

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً   إن برّ عندك فيما قال أو فجرا
فقد أجلّك من يرضيك ظاهره   وقد أطاعك من يعصيك مستترا

---

(١) وادي بيض ، وادٍ من أودية تهامة تنساب مياهه من السروات نحو البحر الأحمر. ويلتقي بوادي (سمرة) عند قرية (الشرفاء) من قرى (آل حدرة) .

ولما قامت قيامة محمد بن يحيى الإمام صاحب صنعاء بواسطة الشيخ علي بن حميدة[1] وانتهى الأمر أن استولى على جميع أقطار اليمن بعد أن وقع بينه وبين الشريف الحسين قتال كانت الدائرة فيه على الشريف . ووقع فيه ضرب رصاصة في فخذه الأيسر عدم منها استقراره على ركاب الحصان . وانتهت الهزيمة إلى قرية (القطيع) فانحاز في قلعته مع جماعة من (ذو محمد) وطائفة من عشيرته الأشراف . وآل الأمر بعد محاصرة إلى أسر الشريف . وفي أثناء ذلك في شهر جمادى الأولى ١٢٦٤ هـ انفصل الأمير عائض من السراة لقصد نصرة الشريف . وصحبه من المسلمين جند كثير . وما وصل إلى أطراف تهامة إلا وقد بلغه خروج الشريف من الأسر بواسطة أبناء أخيه أفخر . ومحمد . وعلي . وسلّموا في ذلك مالاً جزيلاً لمن هم في أسرهم من العسكر . وكان في المدينة العريشية الشريف حيدر والشيخ حسين بن علي مجلي وهما في هذه البلاد نواب للشريف الحسين . ومع استقرار الأمير في (مسلية)[2] انفصل الشريف حيدر بن علي من (أبي عريش) بعد أن وصله[3] من الشريف الحسن بن محمد والمكارمه رؤساء جند (يام)[4] ما به الموافقة

---

(١) علي بن حميدة ، كان عاملاً لعلي بن مجثل على (المخا) . وانحاز إلى محمد بن يحيى ضد الشريف الحسين بن علي الحيدري . وبعدها رجع عاملاً لعائض بن مرعي على (صعدة) بعد حركة محمد بن يحيى وقتله من قبل الأتراك .

(٢) مسلية ، قرية من قرى وادي (بيش) .

(٣) وصله ، الأصل وصل إليه .

(٤) يام ، قبيلة كبيرة في نجران .

على ما يريده الأمير، وتمّ الكلام على تسليم قلعة (صبيا)[1] إليه والمخلاف مقابل ما له من الحقوق المعتادة في البلاد . وعند وصوله إلى مدينة صبيا وتصليح أحوالها توجه إلى السراة بعد أن انقضت له المآرب . وتمّ له ما يريد من المطالب . واستقر في بلاد مملكته . أحكامه نافذة في أقطار بلاده بالسراه . وقد ساس الرعايا بحكم الشريعة المطهرة في الإصدار والإيراد . وما زال على هذا الحال حتى دخلت سنة ١٢٧٢ وهي السنة التي توفي فيها الشريف الحسين بن علي بن حيدر . وبعد موته وقع تجاذب أطراف المخلاف بين الشريفين الحسن بن محمد . والحسن بن الحسين كل واحد منهما يريد أن يستقل بالإمارة . وكل منهما انحاز في قلعته . ولم يزل الشر يتزايد حتى افترق أهل المدينة العريشية إلى فريقين ، فريق إلى الحسن بن الحسين . وفريق إلى الحسن بن محمد . وتأهبوا لإيقاظ نائم الفتنة . وكل منهما يريد أن يسقي من ناوأه كأس المحنة . وطالت مدة الحرب بينهم نحو ثلاثة أشهر . ولكن وفق الله تعالى الأمير عائض إلى النظر في هذه المتفقات لما علم ما جرى من الخراب في هذه الجهات . واستبيحت المدينة العريشية . وأجلي أكثر أهلها منها . فحشد الجنود للنزول إلى تهامة مع أن كلاً من الشريفين يكاتبه في الاستعانة به . وهو غير راضٍ عن شيء من ذلك . فانفصل من بلاد السراة يوم الخميس ثاني غرة شهر جمادى الأولى من هذا العام بجنود تملأ الفضاء . وكان وصوله إلى (صبيا) عاشر

---

(١) صبيا ، وهي مدينة من مدن جيزان تقع إلى الشمال الشرقي منها . وتبعد عنها ٣٥ كيلاً . وأصبحت هذه المدينة فيما بعد قاعدة الإدريسي الذي حكم جزءاً من تهامة .

الشهر المذكور في أبهة تملأ العيون ، وشارة حسنة لم ير مثلها المبصرون ، وأقام في صبيا ثلاثة أيام ، وفي أثناء ذلك وصله الأشراف حيدر ، والحسن بن محمد ، والحسن بن الحسين ، وسلموا إليه القيادة ، وبذلوا له البيعة على حسب المراد ، وألزمهم بتفريغ قلاع المدينة العريشية ، ووصل إليها بعد ذلك يوم الأربعاء خامس عشر من الشهر المذكور ، وقدم بعد أن طرح في الخضراء نحو ستمائة رجل من الجند لترتيب القلاع ، الشامخ ، ونجران ، ودار النصر ، والحاكم ، وتوجه بعد ذلك بمن معه من الأجناد ، وفي صحبته الأشراف ومن بين أيديهم من الأتباع ، وكان متولي اليمن إذ ذاك محمود باشا ، وأقبل أهل اليمن إلى الأمير طوعاً وكرهاً ، ولم يقم أحد في وجهه ، وعند وصوله إلى (الزهراء) رتب قلعتها ، وتوجه إلى (الحديدة)[1] ، وعند قربه منها خرج أهلها منها ولم يبق فيها غير محمود باشا وأرباب القلاع، فأحرق الباشا ما كان في المدينة من قشاش[2] ، وتحصن في البندر[3] ، ولما وصل الأمير عائض بأجناده إلى مطرح (الجبّانة) قريب الحديدة على نحو ميلين سارح أهل البندر وراوحهم بالغزايا حتى عدموا الراحة ، ولكن في أثناء إقامته أراد العزم على الدخول إلى البندر والاستيلاء عليه ، أنزل الله تعالى على الأجناد الوباء الذي لم يعهد وقوع مثله في تلك الجهات ، فأفنى غالب الناس ، وقد كان في نفس الأمير التقدم على الحديدة بمن بقي معه من الجند ، فأشار عليه كبراء المسلمين أهل مشورته بالرجوع عن هذا العزم .

---

(١) الحديدة ، ميناء اليمن الأول اليوم .

(٢) أكواخ صغيرة من القش يسكنها الفقراء .

(٣) البندر ، كلمة فارسية تعني الميناء .

والقفول بمن بقي من الأجناد . ولا غضاضة عليه ولا لوم فيما قضاه الحي القيوم . وله أسوة بفعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وقع الوباء بالشام . وأراد أن يتقدم هو وأمير الأجناد على عدوهم . فلما وقع الوباء رجع من حيث جاء والقصة في صحيح البخاري . وما زال الموت في كل مرحلة . ووصل إلى (أبي عريش) والوباء لم ينكفه . وكان وصوله ٢٥ جمادى الآخرة . وأقام ثلاثة أيام . وبقي أرباب القلاع على حالهم . واستصحب الأشراف معه حيدر بن علي . والحسن بن محمد . وأحمد بن الحسين . وكان يرجى وصول الحسن بن الحسين ولكن تعلل بمعاذير فأخذ أخاه أحمد بدله . وبعد وصول الأمير إلى السراة أرسل إلى أبي عريش رتبة[1] عوضاً عن الرتبة الأولى كبيرهم الشيخ علي بن محي . وكان وصوله إلى المدينة العريشية يوم الاثنين ثالث عشر من شهر شعبان . واستقر هو ومن كان في صحبته في القلاع . ورجع رجال الرتبة الأولى إلى بلادهم .

وفي ليلة الأربعاء ٢٣ من شهر شعبان كانت وفاة الأمير عائض بن مرعي . ودفن ببلدة (السقا)[2] تغمده الله برحمته . وأسكنه فسيح جنته . وقد كان من الأمراء الراشدين حسن السيرة في رعاياه . وله السطوة على المعاندين له . وضبط مملكته الضبط التام . واتسعت دائرة بلاده حتى وصلت إلى أطراف الطائف وإلى قرب بندر (الليث)[3] .

---

(١) مجموعة من الجند يرتبون في القلاع . ويستبدلون كل مدة .

(٢) السقا . مقر حكم عائض بن مرعي . وتقع إلى الغرب من مدينة أبها على مسافة ١٥ كم منها . والحقيقة أنه دفن في قرية (الحفير) الواقعة إلى الجنوب الغربي من (السقا) على بعد ثلاث كيلو مترات منها .

(٣) ميناء على البحر الأحمر شمال ميناء القنفذة .

فتفيأ ظلال الأمر والنهي من غير معارض نحو ثلاث وعشرين سنة . بل ينتقل في أطراف بلاده ، ويتنزه فيها على حسب مراده . وهاداه ملوك البلاد البعيدة ، وهادنه باشوات السلطان وشريف مكة . وجرت بينهم المصالحة على حدود من البلاد . وكل منهم وفى بما التزم به من غير عناد . وكان منتهى ذلك أن صار تحت الرجام . وذهبت أيامه الغضة كأنها أحلام . فسبحان من لا يزول ملكه المتفرد بالبقاء . القاهر عباده بالفناء . لا إله إلا هو .



إمارة محمد بن عائض[1]

وفي يوم وفاة عائض بن مرعي بايع عشيرته الأقربون ولده الإمام الماجد القائم مقام الألف إن عُدّ ألف بواحد . وبعث رسله إلى أطراف مملكة أبيه . ووصل إليه الجميع . وأجابوا داعيه . وبايعوه . واستقر في تخت[2] الإمارة . ولم ينجم عليه خلاف . ولا استطاع أحد (أن)[3] يعارضه من الأوساط والأطراف . بل تهيأ له الأمر من غير تعب . وآتاه الله الملك فلا مانع لما وهب . وهو أهل لهذا المقام . ولا يقوم أحد مقامه من الأنام . لما رزق من الكمال . وما حواه من حميد الخصال . وما امتاز به من الآراء السديدة . والهمة العالية المنيفة . وهو الليث الهصور إن دعا للنزال داعيها . وهو كفو[4] الإمارة عند قاصيها ودانيها وينطبق عليه قول الشاعر :

فلم تك تصلح إلاّ له ... ولم يك يصلح إلاّ لها

وقد طلع على غرته نجم السعد . وأفل عنه طالع النحوس . ولم

---

(١) كان محمد يوم وفاة أبيه مرابطاً قرب حدود الطائف . فبايع أهل الشورى الذين اختارهم الأمير عائض لتولية من يرون . ولم يوص بها أحداً من أبنائه . فبايعوا ابنه علياً وهو الابن الأكبر فلما رجع محمد من رباطه تنازل له أخوه لما كان يتمتع من مؤهلات .

(٢) تخت : كلمة تركية بمعنى سرير وتأتي هنا بمعنى عرش الإمارة .

(٣) أن : ناقصة في الأصل .

(٤) كفو : كفء .

تقابله الليالي والأيام بمكروه ولا بؤس . وقد وقعت التهنئة له بهذه القصيدة :

نظام التهاني لؤلؤ وفرائد ... على عنق العلياء منها قلائد
لملك دعا فاهتزت الأرض فرحة ... وعاد عليها بالمسرات عائد
نفى الخوف عن كل البلاد بدعوة ... يكاد لداعيها تلبي الجلامد
شجاع به تقوى الجيوش على اللقا ... ومن جأشه للجيش قلب وساعد
يرجي نداه كل ماش وراكب ... وتخشى صداه الأسد وهي خوارد
فلله يوم قمت فيه وساعة ... لطالعها الميمون حظك راصد
ستملك أقطار البلاد جميعها ... ويدنو إليك النازح المتباعد
ويصبح عاصي الأرض للأمر طائع ... له سابق خوفاً إليك وقائد
فيا بيعة جاءت بأربح متجر ... لها الله من فوق السموات عاقد
لقد صافحت منك الإمارة ماجداً ... له شاهد من مجده ومشاهد
تخيرت الكفو الكريم من الورى ... بمهر هو البيض الرقاق الحدائد
فحق الهنا حقاً لها بك لا بها ... فأنت إمام قمت أو أنت قاعد
ودم آمراً طول الزمان وناهياً ... لحكمك تدبير الإله معاضد
وهاك هناء نظم الفكر درّه ... تمناه في أعناقهن الخرائد
وصلّ إله العرش ما ناح ساجع ... وما ارتفعت خضر الغصون الموائد
على المصطفى المختار خيرة خلقه ... كذا آله ما خرّ لله ساجد

ثم بعد استقراره في قرار مملكته . وبلوغ مقصده ونهاية أمنيته . جرى الخوض في مادة الأشراف حيدر . والحسن . وأحمد الذين هم تحت حفظ أبيه . ولم يزل الكلام يدور بين الكبراء من المسلمين . ولحسن

سيرة الأمير . وصفاء سريرته ساعد في إطلاقهم . وانقطع الكلام على أن كل واحد منهم يجعل رهينة بدله . وأن قلاع أبي عريش تخرَب جميعها ما خلا دار النصر لأجل حفظ البلاد . وتتعاقبه الرتبة من طرف الأمير . وأن العامل في الجهة الشريف الحسن بن محمد من تحت الرأي والتدبير . ولا يكون منه مخالفة لأميره من قبيل ولا دبير . وبذل العهد على ذلك . فبذل أولئك الأشراف الرهائن ما خلا أحمد بن الحسين فما ساعد أخوه الحسن لإبداله . ولما تمت هذه الشروط . التي هي بكل عهد وثيق مربوط . كان انفصال الأمير محمد بن عائض والشريفان المذكوران صحبته في جيش حافل من عسير متكامل في ٢٧ شهر ذي القعدة . وكان وصوله إلى أبي عريش يوم الجمعة ٢٥ ذي الحجة الحرام ففرح الناس بقدومه . وكان دخوله والبيارق تخفق على رأسه وسيوفه لأوليائه حامية . وعلى الأعداء بالردى قاضية .

دخلتها وشعاع الشمس متّقد ونور وجهك بادي الخير سافره

في فيلقٍ من حديد لو قذفت به وجه الزمان لما دارت دوائره

وفي يوم السبت ابتدأ بخراب القلاع . فكان الابتداء بقلعة نجران . وأخربت بعد ذلك قلاع أبي عريش . وأصبحت خاويةً على عروشها . منكسةً لخرابها على رؤوسها . وهذا شأن هذه الدار سريعة الانقلاب . ولقد صدق من قال : « اولدوا للموت وابنوا للخراب » وبعد أن بلغ الأمير ما أراد من خراب القلاع جعل رتبةً في قلعة (دار النصر) . وجعل الشريف الحسن بن محمد عاملاً على المدينة العريشية وسائر

البلاد التي هي تحت يد الأمير من حدود (وادي مور)[1] إلى حدود (وادي ضمد)[2] . وأما (صبيا) ومخلافها فالعامل فيها الشريف الحسن بن أحمد بن حمود . ثم إنه بعد أن ضبط أمور الجهة توجه من أبي عريش لعله السادس والعشرين[3] من الشهر المذكور[4] وتوجه إلى السراة بعد أن تمّ له في جميع أموره الوفر . وتمّ له ما أراد بملاحظة السعادة في ذلك السفر .

يلقى الندى برقيق وجه مسفر	فإذا التقى الجمعان عاد صفيقاً
رحب المنازل ما أقام فإن سرى	في جحفلٍ ترك الفضاء مضيقاً

واستقر في بلده السراة يتنقل في تلك الممالك . ويسلك في أوامره ونواهيه أحسن المسالك . قد ازدهت به الأيام . وصارت الأوقات كلها أعياداً . وأمنت بعنايته الطرقات في جميع حدود بلاده . وانقمع خوفاً منه كل باغ وفاسد عن بغيه وفساده . وأقام الحدود الشرعية على أهل الجرائم . وحكّم الشريعة المطهرة في جميع القضايا من غير معارض ولا مزاحم . وانتشر في ممالكه لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بمعالم الدين من إفراد الله تعالى بالعبودية . وزجر العوام عن اعتقاد

---

(١) وادي مور ، وادي يبتدىء من منطقة حرض ويجري إلى البحر الأحمر ، وهو قريب من حدود اليمن .

(٢) وادي ضمد ، وادي يبتدىء من جبال بني مالك وجبال الحشر ، ويمر جنوب صبيا ، وينتهي في البحر الأحمر .

(٣) والعشرين ، الصحيح والعشرون .

(٤) من الشهر المذكور ، يبدو أنه من الشهر التالي وهو شهر محرم حيث لا يعقل أن يكون قد تم هذا كله في أقل من يوم واحد . كما أنه لا بدّ له من الراحة من السفر .

الضرّ والنفع في سوى خالقهم ومعرفة « لا إله إلا الله » التي هي كلمة الإسلام . وأوقاته مرتبةٌ على حسب المقتضيات بعضها للدرس في معرفة التوحيد . وما يقرب إلى الله في أمور العبادات . وبعضها يجلس فيه لسماع الشكايات وإزالة الظلامات . لا يكاد يذهب عليه وقت لغير مصلحةٍ على اختلاف المرادات . وهو الآن بارك الله تعالى في عمره ملازم للسيرة الحسنة . سالك للطريق المستحسنة . ملاحظ لتوظيف الناس على قدر مراتبهم . قريب الجناب . شريف الخطاب لا ينقض له معلوم ولا ينسخ له مرقوم أو مرسوم . لما هو عليه من الحزم الذي يعزّ على غيره من الأنام غير ملتفتٍ لغرضٍ في نفسه . بل هو سليم الصدر للخاص والعام .

تملك الحمد حتى ما لمفتخرٍ في الحمد حاء ولا ميم ولا دال
عليه منه سرابيل مضاعفة وقد كفاه من الأذى سربال

وفي هذه المدة توجه الشريف الحسن بن الحسين[1] إلى نجران مستنجداً بقبائل (يام)[2] بعد أن تكررت الطلبات له من الأمير لأجل الوصول إليه . والمثول بين يديه للتأكد منه من أمور كثر القول بأنه أساء التصرف فيها . فعرف الأمير أنه قد خلع الطاعة بتوجهه إلى نجران . وفي أيام إقامته ترجح للشريف الحسين بن محمد مكاتبته ومكاتبة (يام) . ويحثّهم على الوصول إلى أبي عريش . وأن المراتب وأهل المدينة في يديه . وأنه سيسنده مولاه الأمير وراء ظهره . ولله در القائل

---

(١) نقم الحسن بن الحسين على ابن عمه الحسن بن محمد عامل الأمير محمد بن عائض على أبي عريش وذلك لأنه ولي الأمر دونه .

(٢) كان الحسن بن الحسين يحرّض قبائل (يام) للخروج عن طاعة الأمير محمد بن عائض ويخادعهم لينضموا إليه ضد ابن عمه عامل أبي عريش .

ومهما تكن عند امرىء من خليقة   وإن خالها تخفى على الناس تُعلم [1]

ومع ذلك فقد كتب الأمير إلى الحسن بن محمد أنه مهما تحقق نزول الحسن بن الحسين و (يام) إلى تهامة . فسأكون أسرع من وصول الغارة إليك .

مواعيد صدق ما لها من تخلف   تطيب بها نفس الذي ليس يخدع

ولكن الشريف الحسن قد ركن إلى مواعيد (يام) وأنه هو القائم بالأمر في النقض والإبرام . وأن الحسن بن الحسين إنما هو في صورة وسيلة إليهم في دفع النزاع . فبهذا الأمل أضاع الحزم بعد مولاة الأمير . ولله درّ القائل

وكم رافض أمـراً وفيـه نجاتـه   ومرتجياً نفعاً وفي نفعـه الأفعـى

ولما انتهى مسير الحسن بن الحسين إلى أطراف أبي عريش ومعه ثلة من (يام) لا استطاعة لهم على مقاومة من في المدينة . ولكن لما كان المتولي عليهم قد أرخى العنان لهم ومنوه بتلك الأماني لم يكن منه بذل النصح بالقتال . وكان سعيد بن مرضى أمير الرتبة التي في (دار النصر) قد اتخذ سوء الظن بالحسن وأهل المدينة شعاراً . لكن أهل المدينة قد حصلت منهم المخادعة . وعزموا على ترك القتال . وتلقوا أوامر من الحسن بن الحسين بالقبول على كل حال . وكان ممساه ليلة ٢٦ من شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٣ في طرف المدينة من اليمين . فكاتبه الحسن بن محمد بما فاض فيه خاطره . وطلب وصول ثلاثة أنفار من

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي المعروف .

كبار (يام) . فسروا تحت ذيل الليل . وخرج إليهم الحسن بن محمد بعد وصوله تحت قلعة (الشامخ) . ودار الكلام بينهم فيما قد منّوه به من تلك الأكاذيب . فلم يقف منهم على طائل . وتبيّن له أنهم لا يلتفتون إليه . ولا يتخذون بالحسن بن الحسين بديلاً عنه . فندم عند ذلك ندامة الكسعي أو (ابن غبشان) . وخسر الصفقة . وترك الوفاء مع الأمير الذي به يرتفع الإنسان . ولكن لا ينفع الندم في ذلك الحال . وقد ضاعت عليه الحيلة فيما صنع من تلك الأمور العراض الطوال . وفي ليلة وصوله إلى أطراف أبي عريش طاف على المدينة . وكل واحد من أهلها قد استقر في بيته . ولم تظهر منهم حركة الدفاع . فتبيّن للشريف الحسن وأهل رتبة دار النصر أن أهل أبي عريش قد ألقوا السلم إليه . وأنه قد ختم الأمر بينهم وبينه بليل على الدخول في طاعته . وفي ثاني يوم المطاف دخل من غربي المدينة . واستقر في غربي المدينة هو ومن بصحبته من الجند . فثارت الحفيظة لأمير رتبة دار النصر . وأُطلق من عنده ثلاثة مدافع . ولكن لم يكن له مناصر على قتال (يام) ولا مدافع . ولم يزل الخطاب دائراً بين الحسن بن محمد وكبير (يام) علي بن الحسن المكرمي في السداد والدخول تحت الطاعة وترك الشقاق المفضي إلى العناد . وما اتفق شيء على ما يريده الحسن لشيء قد سبق في علم الله تعالى . فانحاز هو ومن أطاعه من الحاشية في قلعته وفتح باب الحرب ظناً منه أنه يتم له ما أراد . وبلغني أن زادت قوة الحسن بن الحسين و (يام) بذلك ولكنه لم يستعمل الحزم في حفظ البئر المحاذية لقلعة الشامخ . وما شعر عصر يوم الاثنين إلا والصارخ يقول : إن

المطرح قد خرجت منه عصابة من أهل البنادق لأجل المضايقة لأهل الشامخ . فأغلق باب البيت . وتأهب من فيه للمدافعة . وكانت ثلة من العريشية خارجة من القلعة فوقع منهم فتح باب القتال . واشتد الزحام بينهم في ذلك المجال . وقام أولئك الثلة مقاماً حمدت فيه منهم الأفعال . وتقاعس الجند الباقي لما وقع قرب العريشية حال المجاولة من البيت وقتل بعض خواص المكرمي . وأبيد حراسه . فعظم الأمر على المكرمي . وساء ظنه بالحسن بن محمد . وقلب له ظهر المجن . فجمع من بين يديه من (يام) . وأجمعوا شورهم على ترتيب البيوت الحجر والمساجد المحاذية للشامخ . فما أصبح الصباح إلا وهي مرتوبة . فأسقط في يد الحسن ومن معه . وحينئذ ثار الحرب منهم . فوقع الضيق على من في الشامخ والتعب . وانكف الوارد إلى البير . ومن أقدم على السقاية رُمي في تلك الساحة . فلما بلغت القلوب الحناجر فما وسع الشريف الحسن غير مكاتبة الحسن بن الحسين . وعلي بن حسن المكرمي في طلب الأمان . وأنشد لسان حاله

إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً فلا يسع المضطر إلا ركوبها

فاسعدوه إلى ذلك . وطلب الوقفة من علي بن حسن المكرمي وكبار (يام) . وصلح الأمر بينهم على أن يدخل تحت طاعة الشريف الحسن بن الحسين . وأن يتولى إخراج رتبة دار النصر من عسير بأي طريق ممكن ولو بالقتال . ووصل إلى مطرح (يام) . وبذل العهد للحسن بن الحسين . وشرطوا عليه بقاء إخوانه عبد الله وأبو طالب في المطرح رهائن حتى تخرج رتبة دار النصر فبذل ذلك . فما زال الكلام

يدور بينه وبين سعيد بن مرضي أمير رتبة دار النصر حتى أذعن بالخروج والانخداع للحسن بن محمد بأمور ما وقف منها على طائل . ولو استعمل الحزم ما اتصل به أحد حتى تصل الغارة (النجدة) من طرف الأمير محمد بن عائض . مع أنه في أثناء المفاوضة بينه وبين الحسن بلغه وصول الشيخ سعد بن عائض[1] في طائفة من الخيالة إلى مدينة (صبيا) ولكن كما قيل :

حب السلامة يثني عزم صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالفشل

وتلك الطائفة مع الشيخ سعد مرسلين من قبل الأمير مقدمةً قبله للغارة على الشريف حسن بن محمد والرتبة المذكورين وفاءً بما قد وعد . وخرج سعيد بن مرضي ورتبته على غير وجه مرضي . وأصحبهم المكرمي رفقاً من رجال (يام) . ودخل الحسن بن الحسين وجماعة معه دار النصر في ساعة خروج الرتبة . ولما وصل سعيد بن مرضي إلى (صبيا) علم به الشيخ سعد بن عائض فأذاقه طرفاً من الهوان . ونال أصحابه من الطرد والابعاد ما تمنّوا أن ما كان لا كان . ولكن بعد انقضاء الأمر وانقطاع مدد ذلك القصر . أما الأمير فقد حشد الأجناد وأسرع الغارة بهمة سامية . ولما انتهى وصوله إلى شعب (رملان)[2] بلغه خروج الرتبة من قلعة دار النصر والاستيلاء عليه . وأن الحسن بن محمد سلّم القيادة . فسيّر له من أحس عدم النصيحة . وأنه غير مستعمل الوفاء

---

(١) سعد بن عائض بن مرعي ، أخو الأمير محمد بن عائض .

(٢) رملان ، واد جنوب (عتود) التهامي . وفيه بئر حفرها الأمير علي بن مجثّل ولا تزال قائمة إلى الآن .

معه مع معاملته بهذه الفعلة القبيحة . وما كان من الأمير إلا الإقدام على الوصول إلى الجهة العريشية لأجل أخذ من فيها ولما استقر بأطراف أبي عريش . وحصل غاية الضيق على من بالمدينة من أهلها . ومن (يام) . أخذ بعضهم بالرحيل . توسط من يحب الاصلاح بين الفريقين . وكان وصول الأمير إلى أطراف أبي عريش في سادس وعشرين شهر ذي الحجة ١٢٧٣ هـ . ولما رأى الأمير أنه لو أقدم على أهل المدينة مع منع الحسن بن الحسين لهم من الخروج لهلك النساء والأطفال . وذهب إن انفتح باب الحرب من لا ذنب له ولا سبب له . في هذا الحال استعد بالإصلاح واتخذ الحلم شعاراً له في المساء والصباح عملاً بقول الشاعر

لا تصغ إن شرّ دعا فالشر إن ... تنهض له ينهض وإن تسكن سكن
وسديد رأي لا يحرّك فتنة ... سكنت وإن حركته الفتن اطمأن

وقلد الولاية الحسن بن الحسين على شروط معلومة . وتأدية مال الله من خراج البلاد . وانفصل الأمير إلى بلاده من ذلك الملتقى على حال يسرّ الودود ويغيظ الحسود في المبتدأ والمنتهى . وكان توجهه يوم سابع وعشرين من شهر ذي الحجة . واستقر في بلاده . ولقد صفا له الجو من المشاركة في الأمر . وجرى له بما يريد من السعادة الدهر . ولله در القائل :

إذا أنت أعطيت السعادة لم تبل ... وإن نظرت شزراً إليك القبائل
وإن فوّق الأعداء نحوك أسهماً ... ثنتها على أعقابهن المفاصل

والتفت إلى ترتيب بلاده . وقرّر الأمور . وضبط الأطراف

والحدود . ونفّذ فيها أوامره في الصدور والورود . وكان يتنقل في أطراف بلاده . وعين السعادة تجري بإسعاده . وهو الحقيق بما قيل فيه :

يقول لي الحادي وقد جدّ في السرى ... وللعيس وخد بين تلك الغياهب

وقد خالط القوم النعاس في السرى ... وهم بين ماش في القفار وراكب

إلام التمادي في السرى يا أخا السرى ... وحتام قطع للربا والسباسب

أما حان للعيس المناخ . فقلت : لا ... مناخ سوى في سوح عالي المراتب

فجد إلى سوح من المجد أخضر ... به تنظر الوفاد من كل جانب

إلى سوح وافى القول والفعل والندى ... حكى الخفر ما العذب الفرات لشارب

إلى ملكٍ يملأ القلوب مهابةً ... ويملأ الأيادي بالعطا والرغائب

إلى ملكٍ ساد الملوك بأسرها ... فرتبته فوق السها والكواكب

حمدت السرى لما أنخت بسوحه ... وتوّجت آمالي بنيل المطالب

هو الفارس المشهور في كل معركٍ ... ومُردي العدا فيه وليث الكتائب

له الحملات الصادقات في الوغى ... إذا كلّت الأبطال عن كل ضارب

يحدّث عنها كل غادٍ ورائح ... ويخبر عنها حاضر كلّ غائب

هو الخائض الأهوال يوم لقائها ... إذا ما غدا بين القنا والقواضب

وفارسها الصنديد في حومة الردى ... إذا اضطرم الجيشان بين المضارب

إذا جُرّدت يوم الجلاد صفاحه ... فأغمادها هامات كل محارب

وإن أشرعت فوق الجياد رماحها ... فموردها بين الكلا والترائب

مفارق هام الدارعين إذا امتطى ... جواداً وتياراً أمام المواكب

له خضعت غلب الرقاب وقد غدت	بأبوابـه أسـادها كالثعالـب
حمى كل قطر من حماه فأصبحت	به الأرض في زهو لآت وذاهب
همام يعاني كل هول وحادث	وقد جرّع الأعدا صروف النوائب
بعزم إذا أودعته البيض لم يدع	على الأرض من باغ بها ومحارب
وكم لك من نصر من الله ظاهر	وكم لك من رأي هنالك ثاقب
لك الخير إذ أحييت للشرع والهدى	ونلت مقاماً في العلا غير عائب
وأمّنت من في البر والبحر بعد أن	غدوا من عظيم الخوف في كفّ لاعب
تأسيت أخبار الملوك وما مضى	لهم من أحاديث جرت ومناقب
فكم لك من بأس يذوب لهوله الـ	جماد وفعلٍ صادقٍ غير كاذب
بقيت بقاء الدهر يا خير ماجد	لتشييد عزٍّ أو لبذل مواهب

وبعد مدة أرسل الأمير إلى الحسن بن الحسين الشيخ علي بن هادي بن صليم لقصد تسليم ما ضربت عليه القواعد . وهو الرسول في قبض بندر (جازان) . واخراج رتبة الأمير منه . لأنه كان فيه حقوق متعلقة لعامل الأمير ورتبته . وللشريف الحسن بن أحمد العامل بـ (صبيا) . فوقعت المهلة في محصوله مقدار شهرين . ولم يحصل من الحسن بن الحسين شيء مما وقع عليه الشرط . وانما أبدى معاذير بضعف حاصل البلاد . وأنه لم يف بما تحت يديه من الأجناد . وبعد انفصال علي بن هادي أشار عليه بعض أهل حضرته أنه لا يحسن منك إلا الوفاء مع الأمير في مثل هذا الأمر الخطير . فتلافى الأمر وأرسل بعض أعوانه فيما بلغ بحصته من الدراهم . وبعد ذلك لم يحصل من الأمير متابعته فيما وقع عليه الصلح لأنه ظهر له منه عدم الوفاء بذلك وعدم

التمام لما هنالك . فضرب الأمير عن طلب ذلك الحاصل صفحاً . وطوى عن المبالاة به كشحاً . وما أعقب ذلك إلا انفصال الشريف الحسن بن أحمد بن حمود من مدينة (صبيا) إلى الأمير . وأذن له في طلب من يريد من عساكر الجبل . وفي بث الرايات لأشراف تهامة ومشايخها لأجل تزحلق الحسن بن الحسين عن الإمارة لعدم ضبطه للبلاد . وقهره بالمطالب الدنيوية للعباد . فأرسل إلى العساكر رسائل . وحثهم على الوصول إلى حضرته لدفع هذا الحاصل . ولله در القائل ،

من اقتضى بسوى الهندي حاجته أجاب كل سؤال عن هل بلم

ثم دخلت سنة ١٢٧٥ وفيها توجه الشريف الحسن بن الحسين إلى جهة (الزهراء) . وبعد نفوذه وصل إلى الشريف الحسن بن أحمد بعض عسكر . واستقروا بصبيا . وعند ذلك أظهر الخلاف وباين أهل هذه الأطراف لما جرى منهم من الاختلاف . وتسلط على أهل وادي (جازان) . وأسر منهم من أسر . وجرى من الأمور ما هو في الكتاب مستطر . وبعد ذلك وقعت المكاتبة من عامل أبي عريش من طرف الحسن بن الحسين للأمير . والتزم له بما تيسر من حاصل البلاد . وأجابه الأمير إن ما قصده إلا الإصلاح والوفاء بما وقعت عليه الشروط . ووصل رسل الأمير وسلم لهم عامل أبي عريش شيئاً من الدراهم . وبعد انفصال الرسل لم يشعر الناس إلا بوصول الحسن بن الحسين على حين غفلة . وكان دخوله المدينة العريشية يوم ١٩ شهر جمادى الأولى . واستقر في بيته (نجران) هو ومن صحبه من الأشراف وثلة من (يام) . ووقع منه المصادرة من الناس في تسليم دراهم لا يطيقون القيام بها قصده

زلاج[1] (يام) . لأمور قد سبق بها علم المليك العلّام . ولم يزل أهل الأسباب والتجارة في معاناة اهوالٍ عراضٍ طوال . حتى بذلوا جملة من الأموال وتسلمتها (يام) . ولم يحصل منهم نفع له بل كان نزولهم إليه براعة استهلاك . تغير قلوب الأنام . واستبقى له ثلة من (يام) مراده أن يرتبهم في دار النصر بدل العراشية . وأخّر أمرهم بعد ما يستريح من شغلة (يام) . وكان أهل المدينة العريشية قد كدر مشاربهم العامل من طرف الحسن بن الحسين . وساق إليهم أنواعاً من الأذايا . ولم يسمع لكلام فصيح يرشده إلى الصواب ويهديه . واغتنم الشريف الحسن بن محمد هذه الفرصة . ورأى أن السعادة قد لاحت له . وله في جلب الناس إليه رخصة . فساعده أهل دار النصر من العريشية . وداخلهم العيب « أي الخروج عن طاعة الحسن بن الحسين » . والحسن بن الحسين في غفلة . غير مستعمل للحزم . ولا يدري ما الناس فيه من المكائد له وكلما بلغه من خواصه شيء من تلك الأخبار تلقاها بالرد وعدم الاصغاء لذلك . ولا دافع لما جرت به الأقدار . والحسن بن الحسين همه الخلوة في مبرز عشاش في بعض الدائرة . قد اتخذه موضعاً لراحته في كثير من الأيام . وكان قد نمي إلى الشريف الحسن بن محمد من بعض إخوان الحسن بن الحسين . ومن بعض (يام) . أنه يريد الفتك به متى ساعدته الأيام . وأن يأخذ حذره من ذلك الغدر . ولا يصغي في المساعدة بالصلح لزيد ولا لعمرو . فاتخذ الحزم عدة . وكان الحذر شأنه وقصده . ولم يزل يعمل الحيل والمكائد في الفتك بالحسن بن الحسين . أو

---

[1] زلاج : نفقة .

إمساكه باليدين . فلما كان يوم الثلاثاء لعله الحادي والعشرون من شهر جمادى الآخرة ١٢٧٥ وقع صريخ في البلد . فخرج الحسن بن الحسين في طائفة من الخيّالة وكبار المدينة . وضربوا ساحل جازان . وما وجدوا كيداً في تلك المسيرة . ورجع الحسن بن الحسين ليلة الأربعاء واستقر في بيته . وما شعر يوم الربوع ٢٢ من الشهر المذكور إلا وقد تحقق لديه خبر احتلال دار النصر وأنهم يريدون يطلقون البيعة على الحسن بن محمد . وفيه يرتفع أمر البلد عنه . فما كان منه إلا الإرسال لبعض الرتب . وجعله تحت الحفظ لديه . وأرسل بعض الأشراف ليبقى في دار النصر . ويكون حفظ تلك القلعة عليه . وقبل غروب الشمس خرج إلى ذلك المبرز المشاش على حسب العادة . وانفرد في ذلك المكان . واختلى بابن عمه الشريف (أبو طالب) بن حيدر . وطرد عنه عبيده والأعوان . لأمر قد جرى به علم القاهر الديّان . فما شعر بعد صلاة المغرب إلا وجماعة من عبيد الشريف الحسن بن محمد قد هجموا عليه في ذلك المبرز العشاش . وأمسكوه باليدين . فما وجد حيلةً يلوذ بها . غير أنه مع خروجه من المكان تمسّك بعضادتي البيت البراني . وامتنع عن الانقياد ومطاوعة العبيد خشيةً من شماتة الأعداء والشوانىء . وهم في أثناء إمساكه يقولون : اذهب معنا إلى الشريف الحسن بن محمد ولك السلامة . فلم يستعد . وضرب الصوت في تلك الأماكن فبادره بعض العبيد فطعنه في خاصرته طعنة وفي ظهره أخرى فطاح في الأرض وقد أثبتته الجراح . وأما أبو طالب فرمي ببندق من وراء البيت فأصابته رصاصة كان فيها إزهاق روحه وخلاصه . والحسن بن الحسين بقي

ساعة يعالج فيها سكرات الموت . وقضى نحبه . ولحق بربه . واندهش الناس من هذا الواقع . وكان ذلك في ٢٣ من شهر جمادى الآخرة . وحمل إلى قلعة نجران . ودفن في جانب من البيت . وهذا حال هذه الدار لا يتمّ لأحدٍ فيها قرار على كرٍ من الأدوار . وبعد ذلك بايع الناس الشريف الحسن بن محمد . ورفع للأمير بهذا الواقع . فلامه على فعله . ولم يزل يكاتب الأمير في سداد الحال . ويطلب منه الرضا عنه والمساعدة في صلاح البلاد على حسب العادة . ولكن الأمير مع ما جرى منه من تلك الحوادث ومخالفته عليه بعد العهود الأكيدة وتأييده على البلاد لم يركن إليه ولا بمقاله . ولا أصغى إلى شيء من تزويره ومحاله . ولكن مع هذا الفعل نفرت منه القلوب . ومع علم الناس بأن الأمير لم يعاضده خرجت الرعايا وظهر الفساد وتقطعت الطرقات . ولم ينضبط أمر البلاد . ولما عامل العراشية بالجفاء وعدم العدل . ولم يف لهم بما قد قعدوا عليه القواعد أيام الحسن بن الحسين . وكان الشيخ أحمد بن حسن هو القائم في المدينة . واحتجب الحسن في بيته . وعوّل على أحمد بن حسن في أمور أهل البلد . ولم يكن منه التفات إلى ضبط الناس وسماع الشكايات فوقع من الرعايا الملل منه . ورفع أحمد بن حسن حقيقة الحال إلى الأمير . ولم يزل يعمل الحيلة في أهل المدينة حتى انقادوا لما يقول . والحسن في غفلة عما الناس فيه . بل يتردد من أبي عريش إلى (المجصص) معقل قد بناه على وادي (جازان) . وعانى هنالك الحراثة . وكلما ألقي إليه خبر لم يتلقاه بالقبول . وقد ورد في الحديث إذا أراد الله أمراً سلب من ذوي العقول عقولهم حتى

يمضيه أو كما قال عليه الصلاة والسلام . ولله در القائل :

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

فما جاءه إلا انفصال الأمير من السراة في جنود متكاثرة . وأبهة عظيمة . وفوارس أبناء الطعن والضرب وهو المقدم فيهم

يختال في زرد الحديد كأنه سيف بن ذي يزن لحمير قائد

وكأنما وهج الفوارس في الوغى تحت العجاج صواعق ورواعد

ولما قرب من المدينة العريشية لم تزل كتبه إلى الحسن بن محمد بالدخول في الطاعة والانتظام في سلك الجماعة . واستعمل الصبر في الخطاب . وأقام الحجة على الحسن من كل باب . ولما طرح غربي أبي عريش تلقاه أهل البلد بأجمعهم طوعاً وكرهاً . واقتضى الحال المراسلة إلى الحسن ببذل الأمان . وأصحبه مع بعض الأعيان . وشرط لنفسه شروطاً . وبذلها الأمير . ولم يزل ينوّع المعاذير من يوم إلى يوم . ولم تقف الوسطاء على طائل من أمره . وكان رتبة نجران قد ألقوا السلم أول يوم دخل الأمير . وبقي أهل دار النصر والشامخ . وفيهما رتب كثيرة . وأعذر الأمير إليهم بالمراسيل . وحين لم ينقادوا للصلاح في دبير ولا قبيل . أنشد لسان حاله :

لقد تصبرت حتى لات مصطبرٍ فالآن أقحم حتى لات مقتحم

لا تركبن وجوه الخيل ساهمةً والحرب أقوم من ساقٍ على قدم

فرتّب الجنود . وبنّد البنود . وحملوا على قلعة دار النصر فوقع الحرب ساعة . فأصدق المسلمون عليهم الحملة . ودخلوا معهم في القلعة .

فصاحوا بطلب الأمان . وشاهدوا من الأمور الفادحة مالا يصبر عليه إنسان فيجنحوا إلى السلامة . فبذل لهم الأمير الأمان على حطة الحلقة[1] .

وما انتصف النهار إلا وقد صارت رتب الأمير فيه . ولم يبق غير الشامخ . فعبأ له الأجناد . وأحاطوا بالبيت إحاطة الهالة بالقمر . أو الأكمام بالثمر . وفي آخر يوم نهار الحرب ركب الأمير إلى دار النصر . وأرسل عليهم المدافع . وكان توجّه معه في تلك الحالة عصابة من المسلمين يحفّون به خيلاً ورجلاً في عدة تغيظ الحاسدين .

متقلـــدون صفائحـــا هنديـــة يتركن من ضربوا كأن لم يولد
وإذا دعوتهـــم لكل كريهـــة وافـــون بـــين مكبر وموحـــد

ولما وقع الضيق والحصار على أهل قلعة الشامخ طلبوا من الأمير الأمان . فأمّنهم . ونزلوا على غير اختيار الحسن . وكان الطالب لذلك العراشية الذين معه في القلعة . وأما العسكر الذين من (سحار)[2] فما علموا بذلك . وحين اطلع الحسن كان العراشية وهم خيرة الرتبة ضاق عليه المجال . وتيقّن أنه يحلّ به الهلاك على كل حال . وأنه لا ينجيه إلا الفرار . ومفارقة بيته وما معه بغير اختيار . فمكث حتى أرخى الليل ذيوله . وغفل الناس . فركب ظهر جواده وخرج بنفسه وبعض عبيده . وما أصبح إلا بطرف الجبال . وقد عانى في الطريق من الكرب والأهوال . وكان الأمير يترقب أنه يشرد ويتحدث بذلك قبل الواقع .

---

(١) الحلقة : السلاح

(٢) سحار : قبيلة من همدان .

فبعث الأمير بعددٍ من الخيالة من يتجسس خبره . فوصلوا وأخبروه أنه قد نجا بنفسه . ودخل بلاد بني حريص . ومن هناك توجّه إلى نجران بلاد يام . وكان ذلك خاتمة أمره[1] . وسبحان من هذا في علمه . وبعد خروجه وصل من كان في قلعة الشامخ من إخوانه وبعض العسكر إلى الأمير فأودعهم في الحفظ . وأقبل على قلعة الشامخ . فأما النساء والصبيان فجعل من يخرجهم إلى المدينة . وخرجوا سالمين . لأن أجناد المسلمين دخلوا القلعة . وتفرّقوا ما فيها . ولم يبقوا فيها باقيةً . وترجّح للأمير خراب البقاع . فبدأ بقلعة الشامخ فأخربها وأصبحت أثراً بعد عين[2]

أمست خلاءً وأمسى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذي أخنى على لبد

وأبقى طائفةً من الجند في المدينة العريشية لخراب نجران ودار النصر . وتوجّه إلى اليمن بجنوده والرايات تخفق على رأسه .

هو الناصر الدين الحنيفي قدومه ... ورافع رايات على السنة الغرّا
يصاحبه العدل الذي شاع ذكره ... وحسبك عدلاً موسع للورى ذكرا
وآراؤه مثل النجوم ثواقب ... ترى دونها البيض الصوارم والسمرا
فأبقاه ربُّ الناس للدين ناصراً ... ولا زال منصور اللوا عاقداً نصرا

وانتهى إلى الزهراء . وانتهى الصلح بينه وبين باشا اليمن في ذلك الوقت . ولم يلق في مسيره كيداً . واستولى على تلك الجهات . وجعل لها

---

(١) قتل أهل يام الشريف الحسن عندهم وصل الى بلادهم وارسلوا الخبر إلى الأمير محمد

(٢) وفي هذه المناسبة قال الشاعر عبد الخالق بن ابراهيم بن أحمد الحفظي أحد قضاة عسير القصيدة التالية بعد عودته الى السراة

هنيت بالنصر في عيش عليك هني ... وبوئت بالنصر في شام وفي يمن

عاملا . ورجع إلى أبي عريش . وبين يديه الجنود . وحول عشيرته الأسود .

كأنهم وإمام الحق بينهمُ ... شهب تحفّ ببدر في ذرى غيم
من معشر إن همّ هزوا الوشيج بدوا ... تحت الذوابل كالآساد في الأجم
غرّ الوجوه إذا التف الندي بهم ... بيض المكارم والأفعال والشيم
إذا المُضام دعاهم يوم نازلة ... جاؤوه بالسمر والهندية الخذم
يحمون بالبيض عزّاً لا يباح له ... حمىً . ويبنون مجداً غير منهدم

---

* ولا برحت على الأعداء منتصراً ... في الشرق والغرب مع شام وفي يمن
لعنيك يا بهجة الدنيا وزينتها ... حييت بالأمن والإحسان والمنن
وقد سمعت بنا من عندكم عجباً ... أراح مكتئباً من صولة الزمن
إن قد ملكت القصور النائفات على ... (أبي عريش) الشهير الفرد في المدن
إن القصور لفي وصف القصور أتى ... ولا كقصر سما (سام به غمّن)
تركتها صفصفاً بالقاع هامدة ... كأنها في قديم العهد لم تكن
فأصبحت عبراً للناظرين لها ... وذاك مصداق ما في سورة لبني
أمست تحوم عليها الطير باكية ... من فقد ما ألفت فيها من السكن
والوحش يضحك في أرض لها طرباً ... فأعجب النوح ضحك صار في قرن
وكيف أصبح دار النصر منجدلا ... طود القصور الذي أربا على القنن
كأنه جبل في بطن مقفرة ... لاذت به العصم لا تأوي إلى وطن
وصار نجران دكاً بعد رفعته ... وهو الفريد الذي ما مثل ذاك بني
والشامخ الشامخ المهدوم شامخه ... قد فرّ منه شريف الأصل في علن
من بعد ما قيل لي أن قد دعوت له ... يوفي عهوداً جرت في سالف الزمن
فخان مستنكفاً لم يرع حرمتها ... يا ليته لعهود الله لم يخن
وظن جهلاً بأن ينجيه شامخه ... هيهات بل باع نفساً أبخس الثمن
وكيف ينجو وسهم الموت يطلبه ... وسهمه نافذ في الروح والبدن *

فقمت حين أبى إلا مكابرة ... بالحرب والضرب في الهامات والوتن
ولم يكن بالرقى قد صحّ من وجع ... فكم رقيت لداء فيه مكتمن
لكنه زاده جرحا على مرض ... فجئته بعلاج الحاذق الفطن
ليس الرقى لجميع الناس شافية ... الكيّ أشفى لجلد الأجرب النتن
فلم يكن غير أن جنّ الظلام له ... فاستمطأ الليل يأويه إلى جنن
ضاق الخناق عليه حين نازله ... قرم الأسود مهب الغاب والعرن
ففرّ مثل نعام جافل عجل ... لم يلو رأساً على أهل ولا سكن
مشى برجله عمداً نحو مصرعه ... ليقضي الله أمرا في السماء بني
فقل له والألى كانوا بجانبه ... عند الفرار مقالاً غير ذي لكن
هل وقفتم ولو مقدار بارقة ... فليس ينجي فرار الخائف الجبن
يا بؤسه في (جمادى) كان مصرعه ... تاريخه زال خط القيدم الحسن
قد حطّه البين من شمّاء شامخة ... لما جميع ميادية على دخن
فخرّ للفم والكفين منعفراً ... لما تعوّده من فعله الخشن
يا ويحه من صريع بالحماقة لم ... يرقب عواقب نقض العهد إذ يخن
أما درى أنه الضرغام من نفر ... شمّ الأنوف بناة المجد خير بني
أرومة من قريش طاب معدنها ... نسل اليزيدين أهل الفضل والمنن
الطاعنون العدا والناقلون لهم ... من البلاد إلى أخرى من المدن
هم الغياث لمن قد بات ملتهفا ... هم الليوث حماة الدين والوطن
حموا عن الدين ما لم يحمه أحد ... من غير ما فشل فيهم ولا جبن
أكرم بهم وبقوم تابعين لهم ... قبائل (الأزد) أهل الحرب والطعن
جحافل مثل أمواج البحور فلا ... يكاد يسلم ما فيها من السفن
يقودهم غير هيّاب ولا وجل ... (محمد) الملك المنصور بالسنن
حمى القرى والبوادي من مخاوفها ... من أرض نجد إلى صنعا إلى عدن
نادى المعالي فلبته على عجل ... فقادهم بزمام اليمن والرسن
يقسو إذا ما رأى خصما يناهزه ... ومن أتى محسناً جازاه بالحسن

* يجود بالنفس في الهيجا إذا حميت   ويبذل المال للعاقين في المحن

له قباب بطيب الذكر شيّدها   له جناب رفيع لم يكن بدني

حدّث ولا حرجاً عن كل منقبة   حوى لها فهو ملء العين والأذن

تمشي الظعينة في أمن بهيبته   لو كان في مهمه خالٍ من السكن

الخيل والليل والهيجاء شاهدةٌ   والسيف والضيف والخط واليمن

والحق والخلق من ناءٍ ومقترب   مع الشريعة قول (الله) والسنن

إن قال قوم له مثلاً فقل لهم   هل النجوم كمثل البدر في الحسن

قد صار كالشمس في وسط الظهيرة ما   كانت مناشدة الركبان تخبرني

لا ما علمت ولا والله ما سمعت   إن قد فرى عبقري فرية أذني

من ذا يساويه في بأس وفي كرم   ومن يناويه لا ينفك ذا حزن

من ذا يساعده ثم يخالفه   من ذا يكابره من ذا ومن ومن

فاحذر لصولته وافرح بطولته   ولذ بدولته تنجو من المحن

فيا مريداً حباه أو محاولة   ففي جناه الذي تبغيه فاستبن

انظر إليه تجد من شأنه عجباً   يقري الضيوف ويفري لبة الدغن

كالبحر راحته كالبر ساحته   كالسحب جودته تنهل بالمزن

أخو المطامع يلقاه بغلتها   فينثني وهو من بعد العطاء غني

أجدى فلم تر ذخراً في مخازنه   إلا قناطير شكر والثناء ثني

لا يقتني غير لامات الحروب وما   يمده للعدا إن بالغداة عني

يبكي لهيبته والرعب أربعة   الكوم والقوم والعاصي وكل دني

ويضحكون إذا لاقوه أربعة   السيف والضيف والعاني وكل سني

لا زال حظك مقروناً بأربعة   عزّ ونصر مع التأييد والمنن

ولا بليت في الدنيا بأربعة   القلّ والذلّ والعصيان والفتن

ودمت في الأمر محفوفاً بأربعة   السعد والمجد والإقبال واليمن

وقد زففت عروساً بنت ساعتها   تختال في حلل التحسين والزين

بكراً تزف إلى كفئه يكون لها   وللذي صاغها عوناً على الزمن *

وأقام ثلاثة أيام . وارتحل يريد بندر جازان لأن فيه رتبة من الترك . فلما وصل إلى (الواصلي) قرية من قرى وادي جازان وصله كبير الرتبة تحت النظر . وأرسل رتبة في قلعة بندر جازان[1] . وتوجّه قافلاً إلى مدينة (صبيا) . ودخلها بأبهة تملأ الأذن والعين بعد أن قضى من هذه الديار جميع الأوطار بهمته العالية وسعادته السامية . ولله من قال في مثل هذه الحال :

همم الخطير جليلة الأخطار ... محمودة الإيراد والإصدار

وتفاضل الغرمات في أربابها ... تجري بحسب تفاضل الأقدار

والناس مشتبهو الذوات وإنما ... ليس المعادن كلها بنضار

وجعل في أبي عريش الشيخ أحمد بن حسن[2] عاملاً عليه وعلى هذه الجهات . وبعد أن دبّر الأمور في هذه البلاد سار إلى السراة على حالٍ يسرّ الودود ويغيظ الحسود . وبعد انفصاله من هذه الديار استقل أحمد بن حسن بالأمر والنهي ولكنه كان في غالب الأحوال لا يتم له في

=

ولست أرخص أقوالي لسائمها ... إلا عليك ولو سيف بن ذي يزن

لأنني من أناس ليس شأنهم ... تكسب بمديح كان أو هجن

فهاكها يا أمير المسلمين بلا ... لوم عليك ولا منّ أو ثمن

واعذر فإن القوافي عودها خشن ... وإنني في القوافي مثل ذا خشن

ويغتشيك سلامي والصلاة على ... خير البرية مأمون ومؤتمن

والآل والصحب ما غنت مطوقة ... وما تلألأ براق من اليمن

وما ترنم ذو شعر وقال لنا ... هنيت بالنصر في عيش عليك هني

(١) قلعة بندر جازان . بناها الأمير علي بن مجثل . وأكمل بناءها الأمير عائض بن مرعي .

(٢) أحمد بن حسن هو أحمد بن حسن بن خالد الحازمي .

الناس مراد . ولا يبلغ من قصده ما أراد . غير مستعمل لحزم الأمر في المحافظة على قوانين الاستقلال . ولا مكدر لخواطر أحد من الرعية وان شقّ به الحال . فغالباً يجعل الإبرام والنقض في الأوامر بيد إخوانه . وهو مرخ للزمام . مستسلم لهم أشد الاستسلام . معرضاً عن قول الشاعر

وإنما رجل الدنيا وواحدهـــا من لا يعوّل في الدنيا على رجل

فمكث والحالة هذه في مدينة أبي عريش إلى آخر شعبان فبلغه وصول مركب فيه بعض أتراك مرسلين من طريق باشا اليمن للاستيلاء على بندر جازان ففزع إليه هو ومن معه من الأتباع . ووصل إليه جماعة من أهل صبيا . وكان مطرحهم في حوالي البندر المذكور . فأقبلت إليهم جنود الترك بعدة وعدد . وعزم لا يرده أحد . وانهزم أحمد بن حسن وأصحابه . وما جاء أول الليل إلا وهو بالمدينة . وضاقت الأرض حتى أن هاربهم إذا رأى غير شيء ظنّه رجلاً . وهمّ تلك الليلة أن يرتحل إلى بعض المحلات . فلامه بعض العقلاء وأشاره برفع حقيقة الواقع إلى الأمير فاتبع ذلك القول . وما كان بأسرع من وصول جماعة من المسلمين . كبيرهم الشيخ علي بن محيي . وما وصل إلى قريب جازان إلا وقد رجع الترك منه . وصار فيه رتبة . فرجع إلى أبي عريش . واستقر بالقلعة التي فيه فقرت أنفس الناس . ولكن أحمد بن حسن مبطن الخلاف . واستقل بالأمر .

منىً إن تكن حقاً تكن أحسن المنى وإلا فقد عشـنا بها زمناً رغدا

ولكن سبقت عليه المنية قبل بلوغ الأمنية . وتوفي إلى رحمة الله تعالى . ولله در القائل :

متى ما يكن مولاك خصمك لم تزل   تـذلّ ويصرعك الذي لا يصـارع

واستقر الشيخ علي بن محيي مدةً . وأعقبه وصول الشيخ حنش بن مسفر . وصحبته ثلة نافعة من المسلمين . وكان المتولي على المدينة محمد بن حسن بعد أخيه . ولكن الحال ما حال ولا استقر لامارته قرار .

وكان ما كان مما لست أذكره   فكن لبيباً ولا تسأل عن الخبر

ولما رأى الأمير حال هذه الجهة غير منضبط لكثرة اختلاف أهلها جرى بينه وبين باشا اليمن المفاوضة في الصلح واندمال هذا الجرح . واقتضى الأمر أن يكون من حدود (ضمد) مضافة إلى الدولة المتولي من طرفهم باشا اليمن . والأمير على ما هو عليه من صبيا والمخلاف . وانسد باب الخلاف . وحصل بهذا الصلح الائتلاف . ورفع الأمير الرتبة التي بنظره من قلعة أبي عريش . وتسلمها وكيل باشا اليمن . وفي تاريخه والأمر على هذا[1] .

ودخلت سنة ١٢٨١ . وفيها حصل من بعض رجال ألمع بعض خلاف لأنهم وصلوا إلى الشريف عبد الله بن عون[2] . وزوّروا في الكلام . وتحرّك الشريف عبد الله إلى بندر القنفذة . وجرى بينه وبين الأمير بعض مراسلات كانت غايتها أن الشريف عبد الله عوّل على الأمير أن يعفو عن

---

(١) ولكن هذا الصلح لم يطل إذ وقع الخلاف بين عامل الأمير محمد على (المخا) وهو محمد بن مفرح بن عبد الله وبين الأتراك الذين أرادوا الكيد للأمير محمد باشغاله ببعض الفتن لذا بدأ القتال .

(٢) الشريف عبد الله بن محمد بن عون ، هو زوج ابنة أخت الأمير محمد بن عائض . إذ أن أخت الأمير محمد (عائشة) بنت عائض قد تزوجها فائز بن غرم المسلي فأنجبت له (صالحة) وقد تزوجها الشريف المذكور . وهي أم أولاده

من نشأ منهم الخلاف . ولا يعاقبهم بشيء على ما سلف منهم . فلتعمد الأمير بذلك نظراً إلى قول الأول:

خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين
ولن في الكلام لكل الأنام فمستحسن من ذوي الجاه لين

وبعد ذلك رجع كل منهم إلى بلاده . وما زال الأمير على هذا الحال الجميل . يتفيأ ظلال الإمارة في البُكر والأصيل . يسدد الأحوال . ويرفع الظلامات عن أهل الشكايات . والوفود تفد إليه من كل الجهات . وعطاياه هاطلة على الناس لأنه في الكرم غيث هامع . يستوي في سيبه الداني والشاسع . فارتفع بذلك له قدر وتفخيم . وانتصب له كرسي المجد بالعزّ والتعظيم . فهو من الأبطال الأمجاد . وقد لباه لسان السعادة بالإسعاد . والصرح الممرد بالكمال المعاني . واقتفاء الملك السليماني . وهو الكريم الذي لا يوضع من الأناسي إلا في العيون . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . وفي أثناء ذلك نجم من رجل يقال له ابن راجح خلاف . وهو ممن يدّعي المعرفة . وذلك أنه استخفّ سفهاءً من أهل جهته فأطاعوه . وبعد ذلك استولى الأمير على تلك الجهة وقطع عرق الفساد . وأودع ابن راجح حبس (مسلية) عقوبةً له على شق عصا الطاعة . وأعفاه من القتل . ولكنه مات في الحبس . وكيف تطيق العنز أن تنطح الصفا . ويبعد أن يقوى الزجاج على الصخر . وقد أفصح عن هذه الحال بعض الشعراء فقال :

ومــن جهلت نفـــه قـدره رأى غيره منــه مـالا يـرى

ولما حصل من أهل جبل يسمى (القهر) في بلاد (الريث) تعرض في الطرقات توجّه إليهم الأمير بجنود لا قبل لهم بها[1] . وكان الجبل صعب المرتقى . ولكنه حاصرهم حتى استولى على الجبل . وقطع رؤوس جماعة من كبرائهم . وهم رأس أهل الفساد . وبعد ذلك خمدت نارهم . وتركوا التعرض لما لا يعنيهم . ولقد خاطبه لسان الحال بقول من قال

أطاعكَ إذعاناً لهيبتك الدهر ... وقابلك الإحسان والفتح والنصر
ولست تهناً بالذي أنت نائل ... لأنك للدنيا وساكنها الفخر

ومن كمال عقل هذا الأمير وحسن سياسته أنه وقع بينه وبين باشا مصر[2] المكاتبة وانعقد الصلح بينهما . ووثق له الكلام من طريق السلطان عبد العزيز . وأغاظ بذلك أهل الأغراض والمقاصد . وانسد باب الفتنة عليه من طريق الأتراك . وصارت جميع بلاده من منتهى غامد وزهران إلى غاية بيشة إلى أطراف صبيا إلى حلي بن يعقوب وتلك النواحي لا معارض له فيها ولا منازع بل هو نافذ الأوامر . شديد القوة . عظيم السطوة . قد خضع له كل معاند . وذلّ عن مناوأته الأقارب والأباعد . واليوم هو أعظم أعيان القطر اليماني سلطاناً . وأرفعهم شأناً . وأوسعهم بلاداً . وأكثرهم أجناداً . ولم تزل الهدايا بينه وبين باشا مصر تترى في كل عام . وهي التي تسلّ السخيمة . كما ورد عن سيد الأنام عليه الصلاة والسلام . ولله در القائل :

(١) قاد الحملة التي سارت إليهم أخوه الأمير سعد بن عائض . على حين بقي هو في أبي عريش .

(٢) كان باشا مصر آنذاك الخديوي إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي باشا .

إذا كان عـون الله للمرء شـاملاً ٠ تهيّأ لـه من كل شـيء مراده
وإن لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليـه اجتهـاده

ولما دخلت ١٢٨٠[1] نزغ الشيطان في فرقة من رجال ألمع أن تعدوا طورهم بإظهار الخلاف على الأمير[2]. وأرادوا زحلقته عن ذلك المقام الخطير. وقد علموا أن دون ذلك خرط القتاد. وتثلّم المشرفي في الرؤوس. وتكسّر الصعاد. ممن تمادى في البغي والعناد. وشقّ عصا المسلمين بالفساد. لأنهم استخفوا رجلاً ساكناً في بلادهم من السادة النعامية ليس له خبرة بالأمور ولا معرفة بالأوامر والنواهي. وليس لأهله سابقة في الأمر. بل هو رجل ضعيف يحترف بالتجارة. فنصّبوه إماماً لهم. فطاوعته لمساعدتهم النفس الأمّارة. ولم يزل الفساد ينتشر في أطراف البلاد. وكُتُبُ الإمام المخذول تترى إلى تهامة وغيرها. واغترّ بذلك ضعفاء العقول. فوقع من لا نظر له في العواقب في المحذور من أهل تهامة وغيرهم. وهم ومن نصّبوه للإمارة يتهددون الأمير ويرعدون ويبرقون بما هو عنده طنين ذباب. وأي عاقل يغترّ بالسراب. وشاهد الحال للأمير قول من قال:

يا ذا الذي بقراع السيف هددنا لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام إلى البازي يهدده واستنطقت لأسود البرّ أضبُعُه
أضحى يسدّ فم الأفعى بأصبعه يكفيه ما قد تلاقي منه أصبعه

والأمير لم يحرّك ساكناً لهذه القعاقع التي هي كسحابة صيف عن

(١) وقع خطأ والصحيح ١٢٨٣ هـ.
(٢) كل هذه الحركات كان الأتراك من خلفها لإضعاف شأن الإمارة.

قليل تقشع . وبرقها خلّب لا ينشأ عنه غيث هامع . وهو يدبّر الأمور في إزالة هذه المفسدة من أولئك الأقوام . ويتأهب لقمع شوكتهم في الليالي والأيام . وبعد ذلك زحف عليهم بجنوده . بل قدّم طائفة من الأجناد . مقدماً فيهم الشيخ سعد بن عائض . وبوصول الأمير إلى بلادهم استعدوا للقتال . فأقدم على جمعهم . وناوشوه بالحرب . ولكن فلّ الله تعالى شوكتهم . وما كان بأسرع من أن ولّوا الأدبار . وحقّ عليهم الفرار لأنه صدمهم بجيش هو غرّته . وبجمع منصور لا تُتّقى معرته . وحينئذٍ أشرع الفوارس خرصانهم . وأرخوا أرسانهم

وفي أكفهم النارُ التي عُبدت قبل المجوس إلى ذا اليوم تضطرم
هندية إن تصغّر معشراً صغروا بحدّها أو تعظم معشراً عظُموا

ومع الاختلاط والاشتباك . ولقح ما بين الفئتين الاعتراك . اكتست الرماح من أقداح الرؤوس المفلّقة . وفاضت أرواح من البغاة ما أظنها في أجواف طير خضر معلّقة . وبعث طائفة من الأجناد ليكون مطرحهم قريباً من قرية (الدرب) لأن بعض بني شعبة اتصل بالبغاة . فكان بعض اختلاف بين كبير الجند وبني شعبة . وانتهى الأمر أن جرى بين الفريقين قتال . وقتل من الجانبين من قتل . ولما بلغ الأمير أغضى عن المتابعة عن الفريقين . ورأى أنهم قد تكافؤوا بما أرخصوه في ذات بينهم من الدماء ولله در القائل :

ومن ظن ممن يلاقي الحروب بأن لا يُصاب فقد ظنّ عجزاً

وأنشد لسان حال الإمام :

وإني على أشــياء منك تريبنــي قديمــاً لذو صفح على ذاك أحمد

ولما استولى على رجال ألمع ومن نصبوه إماماً لهم بذلوا الطاعة . وأيقنوا أن لا طاقة لهم على مقاومة من اختاره الله تعالى خليفةً على عباده وأخرب الحصن الذي كان منه فتح الحرب حتى صار أثراً بعد عين . وندموا على ما صار منهم من المخالفة . والبغي مصرعه وخيم . وصاحبه غير ماش على الصراط المستقيم .

يا صاحب البغي إن البغي مصرعه فاعدل فخير فعال العبـد أعدلـه
فلو بغى يوماً جبـل على جبـل لانهـدّ منـه أعاليـه وأسـفله

فكيف البغي على من استقرت له الإمارة ببيعة الخاص والعام . وصار نافذ الأوامر والنواهي على مدى السنين والأعوام . فقد نصّ على البغي على إمام الحق من الفسوق . ولكن مع رجوع القوم إلى الصواب والدخول تحت الطاعة هو في مقام التوبة على ذلك الفعل القبيح . وباب المتاب للمسلم مفتوح . ووصل الأمير إلى قرية الدرب . فاستباح الأجناد فيها السلب والنهب . وأخربت حصونها . وكشفت مستورها ومكنونها . وأحرق ما فيها من المساكن . حتى تكدّر صفوها الذي كان غير آسن . وبلغ إلى نحو قرية أم الخشب . وفعل بهم الأجناد ما فعل بالدرب . وأمر أهل القريتين بالانتقال عن أوطانهم . فارتحلوا . ومن طلب الأمان وسلم الطاعة بُذل له مطلوبه . وهذا الأمير لشدة شكيمته . وقوة عزيمته لا يذعره الوعيد . ولا يرهبه لمعان صفائح الحديد . فشأنه كما قال الشاعر المجيد :

يغشى الأمور إذا تعاظم خطبها　　بـرداء ذي حبك وغشم مخاطر
يجلي بغرّته العماء ويستقي　　ماء الغمام بجوده المتكاثر

وإلا فقد اغترّ بهذه الدعوة الخاسرة كثير من أهل السراة وتهامة . وافتضحوا بما فعلوا من تلك الأمور التي عاقبتها غير محمودة . ولولا أن الأمير كما وصفنا لتبلّد عند هذا الواقع . ولكنه ازداد شدة بالإقدام على هذه المدلهمات الفواجع . واستذلّ كل مخالف . وعرف كل عاقل أن ما جرى غير تام لأهل الأغراض . وأن الباطل عاقبته الزهوق والادحاض . وأن جند الحق هو المؤيد بالنصر والتوفيق . وحزب الباطل مخذول وإن سلك أي طريق . وأما أمير الفئة الباغية فبتر عمره . وانقضى أمره على يد بعض الأجناد[1] ولله در القائل :

لا يأمن الدهر ذو بغي ولو ملكاً　　جنوده ضاق عنها السهل والجبل

وكان لهذه الواقعة عند جميع الناس موقع عظيم . فرسخت هيبة الأمير في جميع أهل الإقليم . وارتحل إلى السراة وقد خضعت له رقاب العباد . وتمهّدت لعظيم سطوته البلاد . ولم يهمّ أحد بمناوأته ولا معاداته من أهل القرى ولا من أهل السواد . وسار ذكره بحمد فعله مسير الليل والنهار . وحدا الركبان بالثناء عليه في جميع الأقطار . وقيل في هذه الواقعة كثير من الأشعار . منها قولي :

بسمر العوالي والسيوف الصوارم　　يقوم شعار الدين بين العوالم

---

(١) قتله يحيى بن علي الحياني شيخ قبائل بني زيد حيث كُلّف بمطاردته . وقد قبض عليه في مكان يقال له - ريم الصوقع .

ومن قد درى ما قد جرى في زماننا　　　مـن البغي لا يصغي للاح ولائـم

هـمْ أمرضوا الدين الحنيف ببغيهم　　　وهم أخربوا ما شـيدت من معالـم

فقـام بتطويـع الرعـاع بنفسـه　　　أبـو المجـد حـاو للعـلا والمكارم

محمـد السـبّاق في كل غايـة　　　لهيبتـه تعنـو وجـوه الضراغـم

لأعزّ الورى قـدراً وأنداهـم يـداً　　　وأقواهـمْ جأشـاً لدفـع العظائـم

ومن ركب الأخطار في طلب العلا　　　ولـم يأل حتى قادهـا بالخراطـم

ومـن ظهرت في كل أرض على الورى　　　فضائلـه في نجدهـا والتهائـم

ومن ألقت الغُلْبُ الجحاجح أمرها　　　إليـه فأمسـى وهو مولى المكارم

أقرّ لـه كل الأنام وأذعنـوا　　　بسـبق علاه في حديـث وقادم

فلا غرو أن جلى على كل طالـب　　　لنيـل العلا من كل أصيد قائـم

وما زال من سن الطفولـة مولعاً　　　بشـيد المعالـي واكتساب المكارم

فذل لـه الباغون في كل بلـدة　　　فصيّرهم في مثل حلقـة خاتـم

وألجأهم أن يطلبوا السـلم ذلـةً　　　وأخرجهم منهـا بـذلّ الهزائـم

ولو شـئت لم تفعل ولكن رحمـةً　　　تعودتهـا مـن فعلك المتقـادم

بنيت الذي هدّوا وأخربت ما بنوا　　　من الكيد فارتدت كأضغاث حالـم

فكنت عصا موسى تلقفت سـحرهم　　　برأيٍ متينٍ منك للداء حاسـم

وأرغمـت أنفـاً منهـم فتركتهم　　　يعضّون من غيظٍ رؤوس الأباهـم

فشكراً لرب العرش حيـث أثابكم　　　بما نلتـم نصراً على كل ظالـم

فما ذاك إلا فعله وهي سُـنّةٌ　　　له قد خلت في أخذ أهل الجرائم

فدم سـاعياً لله في نصر دينـه　　　وجرّد له بالجد ماضي العزائـم

واعمل حـدود الله في كل جانـب　　　عن الحق لا تُثنيك لومـة لائـم

فما عوقبتْ إلا بإهمال شرعه ملوك مضوا بالحادثات القواصم
فاصلح أمور الخلق واجبر مصا بهم بانصاف مظلوم وا بعاد ظالم
وسر في الرعايا سيرةً مستقيمةً تسير لكم أخبارها في المواسم
وابق لك الذكر الجميل ولا تمل إلى كل ذي زيغ عن الحق آثم
ودم في نعيم وافر الحال ما شدت على شجرات الأيك ورق الحمائم
وصل إلهي كل وقت مسلماً على المصطفى والآل أهل المكارم

وهذه قصيدة أخرى تهنئة له بالنصر . ومدحاً لمن جمع بحسن فعاله المجد والفخر . وفاق بمناقبه العلية أهل العصر .

ليهن العلا نصراً به ابتسم الدهر وقد كان لا يفترّ قدماً له ثغر
وأشرق وجه المجد بعد عبوسه وقرت عيون الملك وابتهج العصر
ألا هكذا من رام فخراً ورفعة وإلا فلا كان السمو ولا الفخر
على مثل هذا النصر يستحسن الثنا وإلا فلا كان المديح ولا الشعر
وذاك بنصر للإمام إمامنا بأفعاله يستحسن النظم والنثر
هو الفارس الكرّار في كل وقعةٍ شجاع له في كل معركةٍ ذكر
هو الليث بل ما الليث في حومة الوغى
وما عنتر يوم الطراد وما عمرو
كريم سوى ترك الندى لا يسوؤه لديه الردى عيد ولكنه النحر
أعزّ الهدى لله عزم سللته حساماً وجيشاً أنت عيناه والصدر
شننت به الغارات حتى كأنها أطاف بها الطوفان أو حشر الحشر

أسود قتال من (مغيد)[1] و (علكم)[2]

يسايرهم نحو العدا الذئب والنسر

وإخوتهم (ربيعةٌ ورفيدةٌ)[3]

و (مالك)[4] قدماً قيل هم مالك الحشر

يهابهم حتى الجماد لو أنهم مع الليل أعوان لما طلع الفجر

وليس لديهم بعض هيبتك التي تذوب لها خوفاً بأغمادها البتر

وعزّ الهدى قد صار واسط عقدهم ومن هو لنصر النصر حين العدا فروا

همام هنى من كفّه وحسامه على المبتغي جود وأعداؤه جزر

يجدّ على أخذ العدو بعزمه ولو كان من أعدائه الأنجم الزهر

إذا رمت تعداد الصفات وحصرها

يقول النهى عجزي هو الترك لا الحصر

لقد نلت يا نجل الأكارم سؤدداً بأفق فخار ما سواك له بدر

ورأيك بالأعداء يا نسل عائض ليفعل ما تفعل البيض والسمر

هدرت كؤوس الموت نحو عدوكم تركت العدا صرعى وليس بهم سكر

يرون الوفا ترك الوفا بعهودهم وأخبث خلق الله من شأنه الغدر

فأفنيت أهل البغي يا خير قائم وهذا جزا من شأنه البغي والمكر

وإنا لنرجو أن سيف انتقامكم به للعدا كسر وللأصفيا جبر

---

(1) مغيد ، قبيلة في السراة حول مدينة ابها .

(2) علكم ، قبيلة في السراة شمال مغيد . وهاتان القبيلتان (بنو مغيد) و (علكم) يطلق عليهما ولد أسلم بن عمرو بن ثمالة الشنوءي من أزد شنوءة . وهي شوكة عسير والكثرة .

(3) ربيعة ورفيدة ، قبيلة في السراة . وأصلهما قبيلتان تحالفتا معا . فربيعة بن عمرو بن عامر . وهو أخو ألمع والصبق . ورفيدة بن كلب بن وبرة .

(4) مالك ، قبيلة في السراة وتنتمي إلى مالك بن عبد الله بن نصر .

وصل على مسك الختام محمد نبي الهدى من باسمه نطق الذكر

وهذه قصيدة ثالثة . وهي بالمديح والتهاني للإمام نافثة . وقاه الله تعالى من كل سوء وحادثة .

تبسّم ثغر المجد عن شنب الفخر ولاحت نجوم السعد بالفتح والنصر
وأشرقت الآفاق في كل بقعة وأضحى شعار البغي في غاية القهر
ونال أبو الهيجا بذلك رفعة علت في تساميها على هامة البدر
سميُّ نبي الله فخر زماننا وقائد جيش الحرب في الموقف الوعر
ومن صار ليثاً في المعارك كلها وخير فتىً قد صال بالسمر والبتر
لقد خفقت أعلامه و بنوده على رأس أهل البغي بالقتل والأسر
وحامت على أشلائهم في ديارهم حوائم أطيار الحداة مع النسر
وقد عاندوا فيما أتوا من شقاقهم فقابلتهم فعلاً بقاصمة الظهر
لوى العسكر المنصور بالقوم فافتدت نفوسهم نهب المثقفة السمر
أذقت المناوي منك كأس منية أحاق به في البغي عاقبة المكر
كفى عبرةً للمعتدين فعاله به صار يدري كيف عاقبة الغدر
يظن الشقي أن المعاقل جُنّةٌ وكيف ينجي القصر من هادم العمر
وما قدروا أن القصور وإن علت مع القدر المحتوم جالبة الشرّ
فأبرزهم نحو الردى حاتم القضا مع رصده فعل النجوم ولم يدر
كذا عادة الخلاف في كل ظالم تعدّى حدود الله في السرّ والجهر
نهنيك يا مولى الفضائل عن يد
بما نلت بعد الصبر . والنصر بالصبر

فأنت عديم الشبه في موقف الوغى تصرّع للأبطال من غير ما ذعر
وقد نلت ما قد نلته بسعادة قضت أنك المقدام بين بني الدهر
وانك سيف للجهاد مجرّد تجرّع أهل البغي من كأسه المرّ
وقد صرت شمساً في البلاد مضيئةً تنير على أهل البداوة والحضر
بسعيكمُ الميمون قد أصبح الورى على حالهم يسعون في البر والبحر
وأمنت فيهم خائفاً متظلماً ونال الذي يهوى بأيامك الغرّ
وإن بك القطر اليماني قد زها وفاخر من فيه على ساكني مصر
فدم في مباني عزك الشامخ الذرا تمدّ ثياب العدل في ذلك القطر
وكن شاكراً لله في كل حالةٍ ترى النعم الغرّا تقيّد بالشكر
وإنا على الحالات نحمد ربنا على نعمٍ عظمى تجل عن الحصر
وأعظمها إذهاب كل معاند تبوأ من بعد الترفع بالخسر
وإن الذي قد سرّكم فهو سرّنا ونحن على الأنس المقيم وفي البشر
ولا زلت منصور اللوا في سعادةٍ تجود على العافين من سيبك الوفر
وصلّ إلـه العرش ما لاح بارق على الشافع المختار في موقف الحشر
وكذا آلـه أهل المعارف والنهى ومن فضلهم قد فاق للأنجم الزهر
وأصحابـه الغرّ الكرام ومن لهم وقائع صدقٍ في حنين وفي بدر

وإلى هنا انتهى ما تيسر من وقائع الإمام . وما جرى به قلم التعبير من مناقبه التي فاق بها الأنام . فإنه ـ متّع الله بحياته ـ نفقت لديه سوق الفضائل بما أحرزه من العلوم والديانة . وأضحى به وقتنا هذا يزهو . وكأن الزمان ليس زمانه . لأنه جدّد دارس الكرم . وأعاد على العافين صيّب الكرم . واستبقى زمام الآداب التي أشرف وجودها على

العدم . وأنعم النظر في سائر العلوم على اختلافها . واحتوى على أنواع الفضائل لا متشبثاً بأهدابها بل جامعاً بين أطرافها . فما أخّره عن مشاركة من تبسط له الملائكة أجنحتها من أهل العلم كونه رب السيف . والجنة تحت ظلال السيوف . ولا شغله عن مصاحبته لكتب العلوم ما هو بصدده من مقارعة الكتائب ومهاجمة الألوف . فهو البحر لا حرج على من حدّث عن عجائبه . والبدر لا فرق بين ظهور ذاك في هالة كواكبه . وهذا من دارة مواكبه .

فالدين منتصر ليوم جلاده ... بشبا أسنته ويوم جداله
والملك منتظم بما نثرته من ... هام الأعادي مرهفات نصاله
والعلم مشتهر بما يأوي من العـ ... ـلماء والفضلاء تحت ظلاله
والجود منهمر بما يولي الورى ... من فيض أنعمه وفضل نواله
والعدل منتشر بما يخشى الذي ... يغشى المفاسد من وبيل نكاله
والفضل منحصر به في بعض ما ... أغنى الأوائل من شريف خلاله
فلذاك فاق بفخره وبذكره ... في الأرض مرتفعاً على أمثاله

وبالجملة فمحاسن هذا الإمام إذا نشرت تعطر الأندية بنشر ندّها . وإذا ذكرت كان الوقوف واجباً عند حدّها . أدرّ الله عليه أخلاف النعم . كما أقرّ الله لديه أصناف الكرم . وحرسه بعينه التي لا تنام . حتى يكون بابه مورداً للأنام . وهتك ستور الجهل بعلمه الذي هو في العالم عَلَم . وأدام لنا نعمة وجوده . كما أدام لنا فيض فضله وجوده . فوجداننا كل شيء بعده عدم . وهذه النبذة المشتملة على بعض مناقبه خلدتها في هذه الأوراق ليكون له بها الذكر الجميل في جميع الآفاق . وهي مدونة

على مرور الأزمان . فإن ذكر الإنسان عمر ثاني بلا نكران . ولأنه قد أسدى إليّ من المكارم ما يوجب له علي الشكر . ولم يشكر الله من لم يشكر الناس . فأنطقني جوده المتتابع . والُلها تفتح الُلها من غير التباس والا فغيره لا أبذل له نبات الفكر . ولا أتقرب إليه بقرض الشعر . وأما هذا الإمام فله الفضل عليّ بعد الله تعالى . ولم أر مكافأتي له بما ينطق به اللسان من بديع البيان الذي يبقى إلى آخر الزمان . فلله دره من ماجد يملأ العين بهجة . وصار وجوده على الناس حجة . هنيئاً له بما حاز من المفاخر . التي سبق بها الأوائل والأواخر .

تهنأ بمجد بل يهنأ بك المجد — إذا لم يكن عن واحد منكما بد

فإنك للمجد المؤثل رأسه — وغرته والعين والكف والزند

وأنت الذي تولى جميل مواهب — شمائله من غير وعد بها وعد

وشمس المعالي والمعاني وبدرها — المنير إذا ليل المعارف مسود

تحيّر ذهني في محامدك التي — هي المجد لولا مجدها لم يكن مجد

رأيتك في تاج الأفاضل درة — وواسطةً في عقدهم إن لهم عقد

وجدتك سيفاً لا أقول مهنداً — وهل عربي خامرت أصله الهند

فأنشدت شعر ابن الحسين لأنني — مطوق جيد بالندى أفلا أشدو

وقد كان في يوم الخميس عليّ أن — أقود خميساً من نظامي به أحدو

فيا ليت لي من ترب فكري لؤلؤاً — ومسكاً فيهديه إلى السيد العبد

وما في جلاميد الصفا جيد لؤلؤ — ولا في طباع التربة المسك والند

وما كل ما تهوى الخواطر ممكن — ولكن هذا جهد من لا له جهد

إليك قصيداً لم تكن من كميتها — إلى أحد إلا إليك بها القصد

أســامر غــادات القريض لعلنــي أســارقها درّاً عليك به أغــدو
تملكني منك الــوداد ولم أكن لغيرك حــرّ قــد تملكه الــودّ
فأثمــر إدلالاً فمـــن ثمراتــه توهــم نظمي إن أزهــاره ورد
جمعت المعالي إذ منعت سواك عن دخولي حمى من دون آجامه الأسد
وأحييــت آثــار الذيــن تقدّمــوا من القــدماء حتى كأنهم رُدّوا
فما فاتنا شيء لســبق زمانهم لأنك ماء الورد إن ذهب الــورد

أدام الله أيامكم الشريفة العالية منبعاً لكل نائل . ومنتجعاً لكل أمل . وحرماً آمناً تجبى إليه الآداب والفضائل . والله يصون مجدكم العالي من حوادث الزمن . ويحفظ ذماء الآداب ببقاء شخصكم الذي إن لم يكن لها فمن ؟ ولولا عراقة مودة الحقير لما فاه بهذا الملتمس . ولا أقدم من قصوره على هذا التأليف . وتطويل النفس . ولكن وجدت القول ذا سعة . فأنشأت هذه الألفاظ المبتدعة . ومع هذا فإن أومل من الإمام بسط الأعذار وأن يستر بجميل حاله ما يراه من الخلل والعوار . جعل الله مشارق أنواره مطالع الفوائد و بوارق أفكاره مجمع جميل العوائد . وأبقاه ركناً لأهل الإسلام . فهو الحافظ بيضة هذا الدين المحيدي من الغير . فلذا بالعدل ذكره انتشر . وصارت مناقبه جمال الكتب والسير . والله يوفقنا وإياه إلى مراضيه ويجنبنا معاصيه . ويجعلنا من المتحابين فيه آمين اللهم آمين .

توفي المؤلف عام ١٢٨٦ هـ ومحمد بن عائض في أوج عهده وازدهار دولته . إلا أن محمداً قد رأى أن الأمر لا يستقيم له ما بقي الأتراك في المنطقة . إذ هناك من يساعدهم في تهامة . لذا قرر إخراجهم من المناطق التي ينزلون بها . وجمع حشداً لذلك . وسار إلى تهامة . وبعد مفاوضات مع الأتراك في (صبيا) خرجوا منها . فتابع سيره إلى (الحديدة) . وحاصرها . وأثناء الحصار بلغه أن الأتراك قد نزلوا في (محايل) في الشمال . كما أن حملة أخرى قد جاءت من مكة . فاضطر إلى ترك الحصار . وأرسل من يفاوض الأتراك . فوضعت الحرب أوزارها مدة سنة كاملة .

قررت الدولة العثمانية غزو عسير بقوة كبيرة تأتيها من الجهات جميعها . من جدة . والطائف . وبيشة . وصنعاء . إلا أن العسيريين بقيادة أميرهم قد وقفوا في وجه هذه الحملات وهزموها في عدة مواقع الأمر الذي جعل السلطان عبد العزيز يأمر بإرسال قوات كثيفة وتجهيزها بالعتاد الكامل إذ رأى أن المنطقة التي بقيت صامدة في وجه الدولة هي إمارة آل عائض وحدها . وهي في توسع دائم . وخططت القيادة العسكرية بأن يشغل الأمير محمد بجبهات اليمن على حين تتقدم القوات العثمانية من الشمال .

تقدم الأمير محمد في الجنوب وأوشك على تخليص (زبيد) و (المخا) من الأتراك . وبينما هو في ذلك الموقف الناجح إذ بالقوات العثمانية مع قبائل الحجاز تتقدم من الشمال . فتعرضت لها قبائل المناطق التي تخضع لآل عائض وأوقفتها . ولكن الكثرة أحياناً تتفوق على الشجاعة ذات القلة . واضطر الأمير سعيد بن عائض أمير بلاد غامد

وزهران إلى التراجع . ولما اقترب من أبها أخبر أخاه محمداً بما حدث فاضطر إلى العودة . وقبل ارتقائه السراة وجد الأمر غير طبيعي إذ تمركزت قوات الأتراك في أكثر قرى عسير ما عدا قبائل (بيشة) و (سبيع) و (البقوم) و (الدواسر) و (قحطان) في الجهة الشرقية والشمالية من عسير إذ صمدت في وجه الترك بقيادة مشايخها (ابن محي الموركي) و (أحمد بن ضبمان) و (ابن سحمان) و (ابن شعلان) وغيرهم بالإضافة إلى القوات التي انضمت مع ناصر بن عائض في (أبها) وهي (يام) و (سنحان) و (وادعة) و (همدان) بقيادة مشايخها (محمد بن وليم بن شايع الشريفي) و (فلاح بن راكان بن حثلين المعيضي) و (محمد بن هادي بن قرملة السحيمي) .

ولما علمت القبائل اليمنية التي كانت تحت حكم محمد بن عائض أنه انسحب من جهاتها مضطراً إلى الشمال بدأت تثور ضد جيشه لتحقيق بعض مصالحها الأمر الذي جعل الجيش العسيري يقاوم الأتراك في الشمال . ويتعرض لحركات القبائل اليمنية في الجنوب

عقد الأمير محمد بن عائض اجتماعاً في (السقا) . ووزع القوات على الجبهات المختلفة . واتخذ قاعدةً له في (ريدة) لمناعتها . ثم سار على رأس قوة إلى عقبة (شعار) .

بدا التعب على قوات ابن عائض لكثرة القتال . ومرض الطاعون الذي أصاب الجند في (الحديدة) . وبدأت قواته بالتراجع . وانسحب

هو إلى (السقا) ومنها إلى (الحفير) ثم إلى (ريدة) قاعدة حكمه . واستمر القتال مدة . ثم أخذت المفاوضات مجراها بين الطرفين . إلا أن الأتراك قد غدروا به بعد أن أعطوه الأمان . وقرروا قتله ومن معه من أسرته وأعوانه . وعرف سعد بن عائض بالأمر . وأفهم أخاه بذلك . فلما تأكد له أسرع بطعن محمد رديف باشا القائد التركي بمدية كانت معه فسقط على الأرض . وحمل لينقل إلى (استانبول) ولكنه مات في الطريق . ودفن بميناء (الشقيق) . وهجم في الوقت نفسه الجند بعضهم على بعض فقتل الأمير محمد وأخواه سعد وعبد الله وعدد من كبار أنصارهم . وحمل الأتراك أعداداً من الأسرى إلى استانبول وذلك عام ١٢٨٩ هـ .

استولى الأتراك على عسير إلا أن سيطرتهم لم تكن لتتجاوز القلاع والحصون وبعض المدن . أما السيطرة الفعلية على خارج المدن . وخضوع رجال القبائل فكان لآل عائض . حيث كان الحكم الفعلي لناصر بن عائض (١٢٨٩ ـ ١٢٩٥) إذ كان مرابطاً في أبها أثناء حصار أخيه في (ريده) ثم حادثة مقتله ودخول الترك إلى مقر حكمه . وبقي ناصر ينازل الأتراك حتى قتل عام ١٢٩٥ هـ . فآل الأمر من بعده إلى أخيه عبد الرحمن (١٢٩٧ ـ ١٣٠٥) فقاتل الترك . ثم فاوضهم بوساطة أخيه سعيد الذي تجنب القتال . وعين عبد الرحمن معاوناً لمتصرف عسير . وبقي حتى مات عام ١٣٠٥ هـ . ولكن علي بن محمد بن عائض لم يرض بصلح عمه عبد الرحمن فاعتصم بـ (حرملة) . وهاجم الترك عام ١٣١٨ هـ . وانتصر عليهم في عدة مواقع . وبقي الأمير الفعلي حتى

توفي عام ١٣٢٤ بعد إصابته برصاصة أثناء حصاره مدينة (أبها) . وفكَّ الحصار عن (أبها) وأسر أكثر آل عائض . وحملوا أسرى إلى صنعاء . ثم أعيدوا إلى (أبها) . وعيِّن الأمير عبد الله بن محمد بن عائض معاوناً لمتصرف عسير برأي السلطان عبد الحميد .

وفي هذه الأثناء تأسست الإمارة الإدريسية في (صبيا) . ولعب صاحبها دوراً كبيراً في أحداث المنطقة لتنقله من جبهة إلى أخرى . وتعاونه في الطليان ثم تعامله مع الانكليز .

حصل خلاف بين متصرف عسير التركي ومعاونه الأمير عبد الله بن محمد بن عائض . فعاودَ آل عائض حصارهم لمدينة (أبها) . وتوفي عبد الله بن محمد وتسلم زعامة آل عائض ابن أخيه حسن بن علي فحاصر (أبها) ثمانية أشهر . وساعده في ذلك الإدريسي لأغراض في نفسه . كما شارك في الحصار الشريف (الحسين بن علي) أمير مكة وشريفها . وقد خطط لهذه المشاركة الأمير حسن بن علي آل عائض إذ فكر بإخراج الأتراك من عسير فرأى من الأفضل أن يكون الحسين بن علي شريف مكة والإدريسي مشاركين له في الحصار من أن يستفيد منهم الأتراك ويكسبوهم إلى صفهم .

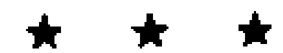
أسرع الإدريسي في النجدة قبل وصول الحسين بن علي من مكة لتحقيق ما في نفسه من السيطرة على المنطقة . وتأخر الحسين بالقدوم ليرى النتائج التي تسفر عنها عملية الحصار . وفي نفسه القيام بثورة ضد الأتراك . ولاختلاف النوايا وقع الخلاف بين الأحلاف . وفُكَّ الحصار عن مدينة (أبها) بأمر الحسن بن علي آل عائض وبتدخل الشريف

أمير مكة . وبدأت المفاوضات . وعيّن الأمير حسن بن علي معاوناً لمتصرف عسير .

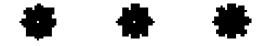
اندلعت نار الحرب العالمية الأولى . وقاوم الشريف الحسين بن علي بثورته على الاتراك في الحجاز . وقرر الأتراك الانسحاب من عسير . وأعطيت المنطقة لأمرائها الأوائل وزعمائها الحاليين وهي آل عائض . وأصبح الحسن بن علي أمير عسير ١٣٣٦ هـ .

لم يرق للحلفاء وخاصةً انكلترا بقاء إمارة آل عائض في عسير حيث رفض زعماؤها التعاون مع انكلترا على حين أن بقية الإمارات القائمة في المنطقة كلها قد وافقت على ذلك . وقطعت أشواطاً في هذا المجال . وحصلت على مساعدات ودعم . ونالت التأييد .

حرّضت الإمارات المجاورة على إمارة آل عائض فزالت بعد قتال بينها وبين آل سعود في نجد . في الوقت الذي كانت نار الإدريسي موجهة عليها من تهامة وكذا نار الإمام يحيى من جهة الجنوب وكانت نهايتها عام ١٣٤٢ حيث أصبحت جزءاً من أراضي ابن سعود ثم منطقة من المملكة العربية السعودية التي تأسست بعد مدة . وهكذا انتهى حكم آل عائض من عسير بعد أن دام ما يقرب قرناً من الزمن (١٢٤٩ ـ ١٣٤٢) ويعدّ امتداداً لحكم آبائهم الذين دانت لهم المنطقة ما يقرب من أحد عشر قرناً . وكانوا هم تاج المدة كلها . ومفخرة عسير في تاريخها الطويل



المحتـــوى





عبد الله بن علي بن حميد

كان محبا للإطلاع مشاركا في الكثير من فنون الادب ، وقد حظيت الصحافة السعودية بالوفير من إنتاجه في البحث والتحقيق والشعر، كما كان مناضلاً بقلمه عن البلاد والذود عن حياضها ، واختير ممثلاً لمنطقة عسير في مؤتمر ادباء المملكة ونال الميدالية التقديرية ، كما انتخب رئيسا لنادي ابها الادبي ، ويعكف الآن لوضع تاريخ شامل عن المنطقة .